االمنهجية في طلب العلم...لفضيلةالشيخ خالد بن عثمان السبت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الدين أنعمت عليهم غيرالمغضوب عليهم ولاالضآلين آمين.
وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين
أمابعد: أيها الأحبة فحديثناعن وصف الطريق الى العلم الشرعي الذي به يُعرف المعبود جلَّ جلاله وبه تعرف الطريق الموصلة إليه وبه تعرف الدار التي يصير إليها الإنسان وه ذا الحديث أيهاالأحبة سينتظم عشرقضايا....

أماالأولى فهي لماذا نتعلم؟
والثانية في شروط التحصيل,
والثالثة في الطريقة الصحيحةفي العلم والتعلم,
والرابعة في التخصص والموسوعية,
والخامسة بين التعليم المباشر والتعليم بالوسائط
والسادسة كيف تختار المعلم؟
والسابعة كيف نثبت العلم؟
وأماالثامنة أيهاالمعلم لاتبتئس,
والتاسعة أيهاالمعلم لاتيأس,
والعاشرة في ذكرطريقة مقترحة في سلم التعلم,
وقدحاولت أن أختصرمااجتمع الي من مادة كنت أجمعها وأجمعها منذ سنين طويلة قد تصل الى ثلاثة عقود فحاولت ان أختصره مرارا من أجل أن أتمكن من عرضها في هذا المجلس..

أما أولا:فلماذا نتعلم؟ماهوالمقصودبالعلم؟فالانسان أيهاالأحبةحينمايقدم على علم من الأعمال لابدله من هدف محدد لأنه لايمكن أن يتعاطى الأشياءمن غيرعلم يسعى لتحصيله فأقول نحن نتعلم العلم لأن الله عزوجل يحبه ويرضاه فهو عبادةجليلةمن أجل العبادات يرفع الله عزوجل أصحابها في أعلى الدرجات ويثيبهم الثواب الدي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم ولاأرى حاجةفي التطويل في ذكرالأحاديث الوارةفي هداالباب لأنها معروفة لكن ينبغي أن يكون لنا فيه نية ولهدافان بعض العلماءيقول:من أراد أن يأكل الخبز بالعلم فلتبكي عليه البواكي العلم لايطلب من أجل الوظائف ولامن أجل تحصيل الأموال والدراهم وانماهوأشرف وأجل من ذلك كله فيراعي الانسان قصده ونيته وارادته فيريد وجه الله تبارك وتعالى دون التفات الى ماسواه لايطلب العلم من أجل الرياءوالسمعة ولامن أجل عرض من الدنيا,يقول أبوالحسن القطان رحمه الله:أصبت ببصري وأظن أني عوقبت بكثرة كلامي أيام الرحلة
الذهبي رحمه الله يعلق على هذا:صدق والله فقد كان مع حسن
القصدوصحةالنيةغالبايخافون من الكلام واظهار المعرفة,يقول علي بن بكار البصري:لأن ألقى الشيطان أحب الي من أن ألقى حذيفة المرعشي أخاف أن أتصنع له فأسقط من عين الله تعالى,كانوا يراقبون النيات ويخافون ولايتزيدون,ثم ان الإنسان أيضا يطلب العلم من أجل أن يعمل به فلايصح بحال من الأحوال أن تستوي حال طالب العلم مع حال الجاهل الدي لم يعرف معرفته أويدرس دراسته,النبي صلى الله عليه وسلم حينماقال: (من يرد الله به خيرا يفقه في الدين) فهذاالعلم أوهذاالفقه أوهذاالخيرالذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم هو الفقه المستلزم للعمل,كما قال حافظ ابن القيم,وأما من أريد به مجردالعلم به وحده فلايدل على أن فقه في الدين فقدأريد به خيرا,مجرد معرفة وثقافة واطلاع لايعقبه العمل فلاينكف الانسان عما حرم الله جل جلاله ولاتنهض عزيمته وهمته من أجل العمل لمرضاةالله تبارك وتعالى فما فائدة العلم؟!فهو وسيلة من الوسائل ليس مقصودا لنفسه وانما هو وسيلة يتوسل بها الى العمل,فالشاطبي رحمه الله يقرر ان كل ماورد في فضل العلم فانما هو ثابت للعلم من جهة ماهو مكلف بالعمل به فهو ليس بمجرد صورته هو النافع بل معناه وانما يدل معناه من تلمه للعمل فكل مادله على فضل اجتهد في نيله كمايقول ابن الجوزي,وكل مانهاه عن نقص بالغ في مباعدته,فحين اد يكشف له العلم سره,وان المسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لايعمل به,ففاتته لذات الدنياوخيرات الآخرة,فقدم مفلسا مع قوة الحجة عليه كما في صيدالخاطر:ينحبس فلا يخرج ولايتنزه ولايجتمع بالناس ويبدأمن أول نهاره ثم بعد ذلك يكابدالليل في التحصيل والطلب ولكن ليس له

فيه نية ولايعقب دلك العمل فهداشقاءفي الدنيا يعقبه شقاء في الآخرة نسأل الله العافية,وقد ذكرابن القيم رحمه الله من علامات الشقاوة في أمثال هؤلاءأعاذناالله واياكم جميعا من منه الأحوال أنه كلما زيدفي علمه زيدفي كبر وتيهه وكلما زيدفي علمه زيد في فخره واحتقاره للناس وحسن ظنه بنفسه وهو عارف كل شيئ ولايحتاج أن ينصحه أحد ولاأن يوجهه أحد ولاأن يذكرله أحد ملاحظةأوتصحيحا أوتقويما أوأن يستدرك عليه خطأ وقع فيه فيغضب أشد الغضب فهذاالانسان الدي انتفش وتعاظم بسبب هذاالعلم انماكان هذاالعلم ضررا له,كماأن بعض ماينبته الربيع حبطا أو يلم كما قال المعصوم صلى الله عليه وسلم,فهذاأيهاالأحبةليس بالأمرالهين والانسان لربما يستمرئ ذلك ويتساهل فيتهاون ويفرط كما نسمع ونشاهد,فاذاأصرعلى ترك ماأمر به من السنة كما قال شيخ الاسلام ابن تيميةرحمه الله فقد يعاقب بسلب فعل الواجبات,في البداية يفرط في السنن وهذه سنة,ويتفلسف قبل ذلك,كان يتحرى فلما تعلم عرف أنها سنة وأن هذا لايجب فبدأيتساهل فقديعاقب بسلب فعل الواجبات حتى يصير فاسقا أوداعياالى بدعة,وقديرفع العلم الله عزوجل منه يقول:وان أصرعلى الكبائرفقديخاف عليه أن يسلب الايمان,فالسنةكسفينة نوح صلى الله عليه وسلم من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق,وكان السلف رضي الله عنهم يقولون:احذروافتنةالعالم الفاجر والعابدالجاهل فان فتنتهما فتنة كل مفتون,فشيخ الاسلام يقرر هذاالمعنى وان طالب العلم ان لم يقترن بطلبه فعل مايجب عليه وترك ماحرم عليه من الاعتصام بالكتاب والسنة والا وقعفي الضلال,ويقول:لواعتصم رجل بالعلم الشرعي من غير عمل بالواجب كان غاويا واذااعتصم بالعبادةالشرعيةمن غير علم بالواجب كان ضالا وقدنخرج من هؤلاءكثيرفي أوقات فشوالقلم,ولماوقعت الفتنة وأبرز دعاةالفتنة والنفاق قرونهم في هذه السميات وجد من يولي عليهم من هؤلاء الزائغين ويلقنهم بعض القضايا والمسائل التي لايعرفونها ولم يسمعوا عنها,فتحولوا بدلك الى الطعن في الدين وتضييع شرائع الاسلام وابطال محكماته بنقولات نادرة أوتتبع بعض المشتبهات من الأحاديث والآيات,فتلقنها وتلقاها أولئك عنهم وصاروا يكتبو في الصحف وينشرون دلك في وسائل اعلامية ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله عن حقائقه التي أرادها الله تبارك وتعالى,وقد كان يقال:ماأحسن الايمان ويزينه العمل وماأحسن العلم ويزينه العمل وماأحسن العلم ويزينه الرفق وماأضيف شيئ الى شيئ مثل حلم الى علم,وفي هذايقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه:مااستغنى أحد بالله الا احتاج اليه الناس وماعمل أحدبماعلمه الله الااحتاج الناس الى ماعنده,يقول سفيان بن عيينه:من عمل بمايعلم كفي مالم يعلم,وابن مسعود رضي الله عنه يقول:كان الرجل منا اذاتعلم عشرآيات لم

يتجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن,وكمايقول الحسن:كان اللرجل يطلب العلم فلايلبث أن يرى دلك في تخشعه وهديه ولسانه ويده,وتعرفون ماجاء عن علي رضي الله عنه وسفيان الثوري يهتف العلم بالعمل فان أجابه والا أرتحل,ولما سئل الثوري رحمه الله:طلب العلم أحب اليك أم العمل؟فقال:انمايرادالعلم بالعمل,فلاتدع طلب العلم بالعمل,ولاتدع العمل لطلب العلم,وذكرالزهري:من غوائل العلم أن يترك العمل به حتى يدهب,ومن غوائله النسيان,ومن غوائله الكدب فيه,وكانوا يستعينون كمايقول الشعبي رحم الله الجميع:اداأحدث الله لك علما فأحدث له عبادة ولايكن همك أن تحدث به,وفي هدايقول الملائي:اذابلغك شيئ من الخير فاعمل به ولو مرة تكن من أهله,ولعل الجميع يعرف خبردلك الرجل الدي بات عندالامام أحمدليلةوهوممن يطلب الحديث,فجاءالامام أحمدرحمه الله ووضع الماءعنده,فلماأصبح نظر الامام أحمدرحمه الله الى الماءفاذاهوكماكان,يعني أنه لم يقم من الليل فيتوضأويصلي فقال:سبحان الله,رجل يطلب العلم لايكون له ورد من الليل,لأن الامام أحمدرحمه الله كان يعمل بماعلم حتى في الأمور الدقيقة,وكان يقول:ماكتبت حيثاعن النبي صلى الله عليه وسلم الاوقدعملت به حتى مر بي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يحتجم وأعطى الحجام دينارا,فاحتجمت وأعطيت الحجام دينارا,فكانوا يوصون بالعمل ويرون أنه من أسباب حفظ العلم,فيماسيأتي لهدايقول وكيع أبي جراح:اداأردت أن تحفظ الحديث فاعمل به,يروى عن علي رضي الله عنه عن
الثوري:العلماءاداعلمواعملوا,فاداعملواشغلوا,فاداشغلوافقدوا,فادافقدواطلبوا,فاذاطلبواه ربوا,يعني أنهم لايتفرغون ينشغلون,أوقاتهم مشغولةمعمورة,لايكون طالب العلم بطالا فارغا لايدري أين يدهب وكيف يقضي هداالمساء,وكان بشربن الحارث رحمه الله يقول:أدوا زكاة الحديث,فاستعملوا من كل مئتي حديث خمسةأحاديث,يعني اثنين ونصف في المئة,فينبغي لطالب أيهاالأحبة طالب الحديث طالب السنة كما يقول الخطيب البغدادي رحمه الله:أن يتميز في عامةأموره عن طرائق العوام باستعمال آثار الرسول صلى الله عليه وسلم ماأمكنه,وتوظيف السنةعلى نفسه,فان الله تعالى يقول: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)فيما يحبه الله عزوجل ويرضاه,ثم بعد ذلك يستوي مع من لاعلم له ولابصر فهدافضل عظيم فينبغي أن يتذكرهذا المعنى دائما وأن يظهر أثر العلم على سمتنا وهدينا ودلنا وأخلاقنا وأعمالنا وتعاملنا مع الناس,يتميز طالب العلم من رآه عرفه أن هذاطالب علم,هذاانسان يختلف عن الآخرين,فكل من اشتغل بصفةأونبوغ من العلم فانه يظهر على وجهه وهديه وسمته آثار صنعته ولابد أدركه من أدركه وغاب عن من جهله,الناس يتفاوتون في هذا

الإدراك كمايتفاوتون في ظهور ذلك عليهم أيضا لكنه يعرف,فقد تقوى آثاره على الانسان فيعرفه كل من رآه وقد تضعف هذه الآثار فيعرفه أهل الفراسة,ولهذاكان بعض أهل العلم من أهل الفراسة يقول لمن يدخل عليه أنت تشتغل بكذاوأنت تشتغل بكذا,و؟اخبارهم في هذاكثيرةولعله يكون مجلس مستقل باذن الله عزوجل في الكلام على هذاالموضوع.

ثانيا في الكلام على شروط التحصيل:نحن نقول أولا أيهاالأحبة:ينبغي أن نحددالهدف,حددواالهدف ماذاتريد؟هل تريدأن تتخصص في العلوم الشرعية فيكون لك سلم وطريقه في التعلم تسير عليه ولابد ولا تتعداه ولاتتخطاه فتنتقل من طور الى طور ومن مرحلةالى مرحلةحتى تصل؟أوتريدأن تعرف جملا من العلم وتقف عندالحدالواجب أن تعرفه,فرضه الله عزوجل عليك في قضايا التوحيدوالاعتقادوفي قضاياالعمل؟أوأن الانسان يريد أن يطلع ويتعرف على جمل من العلم تزيد على دلكلكنه يقصر عن درجة طلاب العلم بأن الاختصاص فيه؟هده لها كتب كؤلفات وضعت لهذاالغرض في شتى العلوم من غير الصحيح كما سيأتي ان شاءالله أن نشغل الناس دائمانقول لهم جميعاابدءوا بكتاب الأجرومية مثلا في النحوثم قطر الندى عن منح ولافي منحة الاعراب ثم شذور الذهب ثم الألفية,لا ماذا يريد الانسان منها؟وقد يستغنى عن بعض العلوم بالنسبة اليه قد نقول لاشأن لك في قواعد الفقه ولافي أصول الفقه أصلا فان أبى أعطيناه كتابا يصلح لمثله أما أن نرسم طريقا واحدا أو نطالب الجميع سلوكه ونفس الكتب هذا غير صحيح,لابد من تحديد الهدف فاذا أراد الانسان أن يتميز في العلم وأن يكون نابغا فيه فهذا لابد له من شروط,وهناك قدر قد لايكون للانسان يد فيها انما هي مظاهر من الله تبارك وتعالى,وهناك أشياء يمكن للانسان أن يطورها وهناك أيضا ماذا إذا تفطن اليه الانسان اللبيب فانه قد يحصل مالايحصله من قد أعطاهم الله عزوجل من القدرات مالم يعطه,فالعلم اذا أراد الانسان أن يكون نابغا فهذا لابد أن يكون له المحل القابل,والمحل القابل أن يكون عند هذا الانسان عقل وفطنة وذكاء,فهذه الأمور مظاهر من الله تبارك وتعالى,ولكن كما أن الناس يتفاوتون فيها الا أن العقل يمكن أن يطور وأن ينمى ببعض الممارسات وهذا أمر معلوم,لأن العقل منه ماهو فطري ومنه ماهو مكتسب,فالانسان الذي يمارس العلم كثيرا يرتقي عقله وينمو بخلاف من بقي على حاله وقل مثل ذلك في الأمور الحياتية,الانسان الذي يسمع تجارب الآخرين أو يقرأ في التاريخ أو يستفيد من الأراء أو يجرب في الحياة كثيرا ينمو له من العقل مالايكون عند غيره,فالذكاء أيضا هو أمر يهبه الله عزوجل

للانسان لكن الكثيرين من الأذكياء قد لايستفيدون من ذكائهم,بل أن الملاحظ أن الكثيرين من الأذكياء يبتلون بالكسل فيكون ذلك مثبطا لهم ومعوقا لهم عن التميز والتمهر سواء في العلوم الشرعية أو غيرها,ولذلك أنظر كم يتميز في العلوم في الرياضيات في الطب في الكيمياء في العلوم العربية فضلا عن العلوم الشرعية من الفقه والحديث والتفسير وما الى ذلك,الذين يدرسون في هذه التخصصات كثير من الأذكياء لكن كم يتميز منهم؟القلة,فالذكاء وحده لايكفي ولذلك قد يكون الانسان متوسط الذكاء لكن عنده من الصبر والجلد والهمة ويسير على طريقة صحيحة في التعلم فتختصر عليه السنوات الطوال فيحصل ويتميز مالايحصله أولئك,فالذكاء وحده لايكفي والعقل وحده لايكفي,كما أن الانسان يحتاج الى رغبة,تكون عنده شهوة ورغبة في التحصيل,ويذكرون أيضا الاكتفاء,مايكون الانسان مثلا مشغولا بطلب لقمة العيش,مايكون عنده وقت يعمل من أول النهار لوسط النهار ثم يعمل بعد ذلك الى الليل,أو يعمل من أول النهار من طلوع الشمس الى غروبها ويرجع منهكا,هذا متى يحصل من العلم؟ولذلك تجد بعض الناس أحيانا يرغب أن يكون متخصصا في العلم الشرعي وهو بهذه الحال,هذا أو لايمكن,فالعلم أعطه كلك يعطك بعضه,كما أنه قد يحتاج الى وقت وفراغ أيضا يحتاج الى الخلو من القواطع المذهلة كما يقولون,فالانسان الذي عنده مشاكل وهموم هذا يبقى قلبه مشوشا لايحصل كثيرا من العلم لأن قلبه يتفرق عليه فلايجتمع ولايلتئم,فاذا حصل مع ذلك طل من العمر فان هذا الانسان سيحصل مالايحصله غيره,يعني أنظر الى الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله توفي وهو صغير وهو لايعلم ومن شيوخه الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله لكن أنظر كم عمر هذا وكم عمر هذا؟!هذه قضية لها تأثير في التحصيل كما لايخفى,كما أن العلماء يذكرون أمر وهو أمر لابد منه الظفر بالمعلم الذي يحسن التعليم وسيأتي الكلام,هذه المأساة,وقد جمع الشافعي رحمه الله جملة من هذه الشروط بالأبيات المعروفة:

أخي لن تنال العلم الا بستة سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة أستاذ وطول زمان

وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله من القدرة التي تطلب من أجل التحصيل العلمي استعداد العقل,وسابقة الطلب,ومعرفة الكتب الوصلة اليه من الكتب المصنفة,علماء متقدمين وسائر الأدلة المتعددة والتفرغ له عما يشغل به غيره,هذه كلها جملة القدرة والمقصود أيها الأحبة أن هذه الأمور حينما تذكر فالمقصود بذلك أنها شروط للنبوغ ولكن قد يحصل الانسان مع تخلف بعض هذه الشروط,لكن لاأمر كما

قال الامام الشافعي رحمه الله:الطبع أرض والعلم بذرة,ولايكون العلم الا بالطلب فان كان الطبع قابلا زكى ريع العلم وتفرعت معانيه فكلاهما انما هو في التميز والتمهر والنبوغ والرسوخ,لهذا يقول الشعبي رحمه الله بأن هذا العلم لايصلح الا لمن فيه عقل ونسك,وكان الفراء يقول:لاأرحم أحدا كرحمتي لرجلين:رجل يطلب العلم ولافهم له,ورجل يفهم ولايطلبه,واني لأعجب ممن في وسعه أن يطلب العلم ولايتعلم,ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام,فاذا وجدت الأهلية عند الانسان يحتاج مع ذلك الى الرغبة,وهذه الرغبة قد تكون غير موجودة لكن يمكن توجد,توجد بإلزام النفس بحضور مجالس العلم وهذا شيئ مشاهد ومجرب,توجد بإلزام النفس بالقراءة والاطلاع والنظر والبحث حتى يكون ذلك سجية وعادة راسخة له,فاذا خرج من مكتبه فكالسمكة حينما تخرج من الماء لايجد لذته ولاأنسه ولاراحته ولامعين الا بين الكتب وفي مجالس العلم,هذه الرغبة يمكن أن توجد بالقراءة في فضائل العلم ومأعده الله عزوجل لأهله,فعشاق العلم أيها الأحبة كما يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله:أعظم شغفا به وعشقا له من كل عاشق بمعشوقه,وكثير من لايشغله عنه أجمل صورة من البشر,وكان يقول:لو صور العلم صورة لكانت أجمل من صورة الشمس والقمر,وصدق رحمه الله,وانظروا أيها الأحبة وقارنوابحالنا,فهذا رجل من أهل العلم كان يقول:اذاغشيني النعاس في غير وقت النوم وبئس الشيئ النوم الفاضل عن الحاجة,يقول:فاذا اعتراني ذلك تناولت كتابا من كتب الحكم,فأجد اهتزازي للفوائد والأريحية التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة,والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة وعز التبين أشد ايقاظا من نهيق الحمير وهدة الأدم,فاذا أردنا أن ننام أصابنا الأرق ربما نعمد الى كتاب من أجل أن ننام,فاذا بدأ الانسان أخذ الكتاب بدأ يتثاءب,واذا حضر في مجلس العلم غلبه النوم وألقى عليه سرباله,فهذا يجد هذا الاهتزاز والنشاط اذا نظر في كتاب من كتب الأدب.

وأما الحديث عن الصبر فقد تحدثت طويلا عن الصبر أيها الأحبة في الأعمال القلبية,فالصبر عدة وهو السبيل والطريق الى تحصيل المطلوبات الدنيوية ولاأخروية,وهو السبيل الى تجاوز المصاعب والشدائد والآلام والأنكاد في هذه الحياة الدنيا,الصبر مطية من ركبها أفلح وظفر.

يقول هذا الطاهر المقدسي:بلت الدم في طلب الحديث مرتين,مرة ببغداد ومرة بمكة,كنت أمشي حافيا في الحر فلحقني ذلك,وماركبت دابة قط في طلب الحديث,وكنت أحمل كتبي على ظهري,وماسألت في حال طلب العلم أحدا,كنت أعيش على مايأتي,وهذا التبريزي ابن الخطيب حصلت له نسخة من كتاب تهذيب اللغة

للأزهري,وهو كتاب كبير في مجلدات,فأراد أن يأخذه عن عالم في اللغة فدل على ابي العلاء المعري,فجعلها في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز الى المعرة ولم يكن له مايستأجر به من مركوب,فنفذ العرق من ظهره اليها,وقد قيل أنها ببعض الأوقاف ببغداد وخزائن الكتب,وأن الجاهل بخبرها اذا رآها يظن أنها غريقة ,وليس الذي بها الا عرق يحيى بن علي التبريزي رحمه الله,وهذا سقراط الفيلسوف الضال حصل من العلوم الفلسفية ماحصل واشتهر بهذا,لما سأله بعض المعجبين به أنى لك هذا العلم؟قال:لأنني أنفقت من الزيت أكثر مما شربت من الماء,يعني الزيت الذي يوقد به السراج ليقرأ الليل,كما أن الانسان بحاجة الى ملازمة لأهل العلم,العلماء أيها الأحبة الى القرن الماضي كانوا يلازمون حلقة العالم,وهذا العالم هو الذي يوجههم ويتشاور معهم أو يختار لهم الكتاب الذي يدرس,ويبقون على هذه الحال مدة طويلة تصل الى ثلاثين سنة وأكثر حتى يتخرجون على يده علماء,وفي ترجمة الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله مثلا,كم تخرج من حلقته من العلماء والقضاة؟أعداد كبيرة جدا حلقة عالم واحد واقرءوا في تراجم العلماء قبلهم,ثم بعد ذلك تغيرت الحال واشتغل الناس بالأعمال والوظائف والتجارات,وكان بوادر ذلك تجدونه فيما كتبه الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله في رسائله التي كتبها للشيخ عبدالله بن عقيل رحم الله الجميع الأحياء والأموات,كان يذكر له بأن الطلاب بدأوا يتفلتون ويتناقصون بحثا عن الوظائف والأعمال,وهذا الأمر الّذي كان الشيخ رحمه الله يذكره صار بعد ذلك شيئا ظاهرا ونشأ عليه الصغير وشاب عليه الكبير,فأصبحنا للأسف في الواقع لايعنينا على التحصيل العلمي المتميز,وصار طالب العلم يتذوق,وهو أمير نفسه هو الذي الخطة ثم بعد ذلك يحضر وهو الذي يقرر أن هذا الشيخ أهل أن يتلقى على يده وأن يثني الركب عنده,وأن هذا الدرس مأصل أو غير مأصل,يأتيك شاب ليس في وجهه شعرة ويتحدث عن درس عالم من العلماء ويقول هذا الدرس مافيه تأصيل,وسامع كلمة تأصيل وأراد أن يطبق عمليا ويقول هذا الدرس مافيه تأصيل,كل ظني أنه اذا قيل تأصيل درس فيه تأصيل أنه يقول الأصل الأول في التأصيل كذا,الأصل الثاني أظن يبدو أن الدروس بهذه الطريقة,ثاني تأصيل ماهو التأصيل؟يذكر مأخذ المسألة هي من الكتاب والسنة هذا التأصيل,فالشاهد أن الكثيرين أصبحوا يتذوقون يحضر عند هذا قليلا ويحضر هنا قليلا ويحضر هنا قليلا ثم تشاهد هذا بعد عشر سنوات ثم بعد عشرين سنة فاذا هو كما رأيته أول مرة,واذا سمعت أسئلته فهي أسئلة العوام يسأل عن مسألة أيام الحج والا عن قضية تتعلق بمعاملة من المعاملات أو نحو هذا,أسئلة عوام وين هذا التحصيل سنوات؟يتذوق فيقرأ من هذا الكتاب ربع الكتاب,ومن هذا الكتاب ربع الكتاب,ومن هذا

الباب الأول ومن هذا حذف ثلث الكتاب ومن هذا أرباع ولو عرضت عليه أسماء بعض الأبواب بعد المنتصف لربما لم يسمع بها,فأقول من أراد العلم فينغي أن يصبر على ثني الركب في مجالس العلم مع أن فيها مشقة لكن ثقوا ثقة تامة أن من اعتاد ذلك فانه يجد من اللذة مالايجده أقرانه وأصحابه الذين قضوا أوقاتهم في التنزه والمتع والملاهي والذهاب هنا وهناك,جنة جنة روضة من رياض الجنة وهذا الكلام من لم يجربه ولم يعرفه يستغرب ويقول تتحدث عن ماذا؟وين الجنة؟وين الجنة؟الله عزوجل يعطي من يشاء,محروم محروم,فهذا معين أيها الأحبة المجمر رحمه الله جالس أبا هريرة رضي الله عنه عشرين سنة متوالية,وهذا عبدالله بن نافع جالس الامام مالك خمسا وثلاثين سنة,واليوم طالب العلم يحضر درسا أو درسين أو ثلاثة أو صيفية عند عالم,قال شيخنا وقال شيخنا,وأحيانا لم يحضر له درسا واحدا انما أسئلة وهو جالس فيها,أسئلة وكذا وقال شيخنا وقال شيخنا يملأ المجالس بهذه العبارات,ولربما في الكتب,ماذا حضر؟هذا خمس وثلاثين سنة,فينبغي على الانسان ألا تتقاصر همته في هذا الباب ويكتفي بحضور بعض الدروس القليلة ثم بعد ذلك ينقطع,وكثير من الناس لايعرف العلم,هذا درس دراسة أولية يظن أن هذه الأبواب التي يسمع بها فيما بعد بعد ذلك.يظن أنها الأبواب التي درسها وأن هذا يعاد عليه ثانية,العلم على مراحل ولهذا تجد بعض من لايعرف العلم حينما يأتي ويحضر درسا في كتاب أو نحو هذا,يسمع كتاب الطهارة أو نحو ذلك,يقول هذا درسناه في الابتدائية.

ثالثا:ماهي الطريقة الصحيحة في التعلم والتعليم؟وهذا أمر في غاية الأهمية,وكان ابن خلدون رحمه الله في مقدمته الدقيقة ويطرحون عليهم من غايات الفنون مالم يتهيأ لفهمه فيستصعب ذلك ويظن أن العلم بعيد المنال,بل أن بدران رحمه الله في كتاب المدخل أن السبب في بقاء الكثيرين لسنوات طويلة من غير تحصيل أن ذلك يرجع اما لضعف قدراتهم وامكاناتهم أو لسوء التعليم,سوء التعليم يبدأ كتاب الآن في مصطلح الحديث أو في النحو أو في الفقه بدأ الكتاب بالبسملة,البسملة,بدأ المؤلف بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم:كل أمر ذي بال لايبدأ فيه..ويبدأ يأتي ويبدأ يتكلم عن الحديث صحيح أو غير صحيح,ثم يبدأ يشرح البسملة,الباء هذه هل هي للاستعانة أبدأ مستعينا بالله,بسم الله المقدر هل هو اسم أوفعل بسم الله أبدأ أو بسم ابتدائي وأيهما أبلغ؟تقديم الاسم أو الفعل؟وهل المقدر مقدم أو مؤخر؟أبدأ بسم الله أو ابتدائي بسم الله أو بسم الله ابتدائي؟حتى لايتقدم شيئ على اسم الله,وهل هو المقدر هنا خاص أو عام؟بسم الله آكل,بسم الله أقرأ,بسم الله أبدأ,مطلقا

يصبح لكل شيئ,الآن الكلام في الباء ماجئنا للاسم هل مشتق من السو أو السمة؟يعني العلامة وشواهد ذلك من العربية,ثم بعد ذلك بسم الله لماذا حذفت الألف في البسملة في الكتابة والله لفظ الجلالة هذا هو مشتق والا جامد؟وان كان مشتق من أين مادة الاشتقاق؟وكلام طويل الى الآن في شرح البسملة,مابعد جينا للحمدله,كلام المؤلف في المقدمة الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله فهذا مختصر وضعته في الفقه,هذا الاشارة هنا الى موجود والا لمقتدر في الذهن؟الا اذا كان كتب في المقدمة في البداية فكيف نشيل لماذا؟وهو موجود الى الآن المختصر؟يقول لك لا هذا مقدم يحتمل أن يكون كتب المقدمة بعد ماكتب الكتاب,فتكون الاشارة الى موجود,ويحتمل ان يكون الاشارة الى مقدر في الذهن لأن هذا صحيح كقوله تعالى: (ذلك الكتاب لاريب فيه) فهذا كتاب والكتاب على وزن فعال وهو من الكتب وأصل هذه المادة ترجع الى الضم والجمع,ويأتي بكلام طويل الى في المقدمة,فلما يسمع طالب العلم هذا الكلام يقول هذا العلم صعب الى الآن في مقدمة المؤلف فمتى نصل الى الأبواب الأخيرة في الكتاب؟هذا بعيد المنال لايصل اليه الا الواحد بعد الواحد,فيقطع ويترك العلم بسبب سوء الطريقة في التعليم,الكتاب اجتمعنا على الفقه لماذا نشرح المقدمة؟لماذا نشرح البسملة؟مو الدرس في التفسير شرح البسملة,وللأسف اعتدنا طريقة معينة أحيانا يصعب علينا مفارقتها,نحن في دورات النموذجية نذكر لمن يأتي نقول له لاتشرح المقدمة,لاتشرح البسملة,ولاتشرح الحمدله,ابدأ بالمقصود مباشرة,وبعض ؟أقوله هذا الكلام عند الباب ويقوا ان شاءالله ثم اذا جلس بسم الله الرحمن الرحيم تبدأ البسملة ويبدأ يعيد نفس الطريقة,العادة غلابة,الانسان اذا اعتاد على الشيئ يصعب عليه مفارقته,بل ان ابن خلدون رحمه اللهعد كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وكثرة الحواشي والمختصرات والمطولات ان ذلك من جملة الأسباب المعوقة عن العلم وهذا صحيح,لو أراد الانسان أن يقضي العمر في فن واحد أصول الفقه أو مصطلح الحديث أو النحو أو نحو هذا,كم يوجد عنده من المختصرات والكتب المتوسطة والحواشي والمطولات؟اذا عرفت هذا أقول اسمحوا لي أيها الأحبة أن نجري مقارنة مع واقعنا وحالنا,تحدثنا عن العلم أنه بهذه الطريقةمن التطويل وذكر الخلاف,فاذا جاء التلميذ عند الشيخ لأول وهلة أعطاه كل مايستطيع,حضر في الفقه مثلا من شروح الحديث ومن كتب الفقه المطولات ومن غيرها ثم بعد ذلك الكتاب شلرح منهج السالكين مثلا أ؟و عمدة الفقه مثلا هذا وضع للمبتدئين فيحشر التلميذ كل شيئ من الأقوال والخلاف والأدلة والترجيح,اذا كان الأمر كذلك فلماذا لايبدأ بكتاب المجموع أو المغني من البداية؟ولو قيل لهذا الشيخ نظريا نبدأ بكتاب المغني والا هذا

للمتقدمين,لايبدأ بهذا يبدأ بكتاب المختصر على قول واحد,فاذا شرحه حوله الى موسوعة ولهذا صرنا نسمع المختصر الفلاني يشرح كذا عشرين سنة مختصر,بعضهم يقول أنه شرح تسعين حديثا في ثلاث سنوات على درس يوم في الأسبوع,وفي الدرس يشرح حديث أو جملة أو سطر من الفقه تشق فيه الشعرة والشعيرة تشقيق,هذا مبتديئ يحتاج الى جمل من العلم مختصرة مايحتاج الى هذا التطويل والتحصيل,طبعا هذا أثر آثار سيئة صار هؤلاء التلاميذ اذا لم يؤتى له بأشياء أول مرة يسمعها الدرس مافيه شي لو اكتفى الشيخ بهؤلاء الذين يطلبون العلم في أول أمرهم يوضح الطلب ببيان جمل من العلم مختصرة,يقول هذا الدرس مافيه شي,العام أيها الأحبة الأسابيع التي فيه تصل مايقرب من خمسين أسبوعا أليس كذلك؟طيب أحسبوا معي الاختبارات في الفصلين أربعة أسابيع فاذا نقصنا أربعة أسابيع وهذه لاجازة خمسة عشر أسبوعا؟نطرح الاجازة تدرس توقف في الاجازة أليس كذلك؟وأيام الأختبارات فاذا حذفت أيضا شهر رمضان أربعة أسابيع ثم احذف اجازة العيد أسبوع أقل شيئ ثم احذف اجازة نصف العام بين الفصلين مع الحج وهي أسبوعان واحذف اجازة منتصف الفصل الدراسي الثاني الجديدة هذي أسبوع كم يبقى؟ثلاثة وعشرون أسبوعا فقط,فاذا كان الدرس في اليوم في الأسبوع ويشرح في الدرس حديث واحد تشق فيه الشعرة والشعيرة,كم يصير عندنا في السنة في الواقع؟كم حديث شرح؟ثلاثةوعشرون حديث هذ هي النتيجة وهذا هو الواقع الذي لربما نحن ندخل في الدرس ونحن ندرس أو ندرس دون أن نحسب هذه الحسابات ونظن أننا سنقطع شوطا وسنحصل علما ثم بعد ذلك يبقى هذا الانسان السنة والسنتين والثلاث والأربع ويجد السماه,هذا كتاب واحد الآن مختصر المستوى الأول في هذا الفن ويتصور المستويات الأخرى ويدرس العلوم الأخرى فالعمر يمضي ثم بعد ذلك يتلاشى,فيتلاشى الآلاف من طلبة العلم الشرعي في الجامعات الشرعية وممن يحضرون في الدورات العلميةومجالس العلم,هذه الدورة التي عندنا ستة أيام في الأسبوع الأول وستةأيام في الأسبوع الثاني 12يوم تعادل كم تصل؟لأن نصف هذه المدة المذكورة تقريبا الى اثني عشر أسبوعا يعني بمعدل ثلاثة أشهر,فاذا حسبت12ضرب خمسةلأن عندنا خمسة دروس في اليوم,الواقع أنه يكون عندك في الأسبوعين ستون درسا يعني مايعادل ستين أسبوعا وهذا أكثر من درس في الأسبوع بكثير,الآن اذا أردنا أن ندرس بنفس الطريقةهذي كنت عملت عملية حسابيةلدراسة الكتب بشق الشعرة والشعيرة يوم في الأسبوع مع توقف في الاجازات والاختبارات ويشرح حديث واحد في الدرس,البخاري من غير المكررات تصل أحاديثه الى

مايقرب من ألفين وستمئةحديث,وبالمعلقات الى ألفين وسبعمئةوواحدوستين وبالمكررات الى سبع آلاف وميتين وخمسةوسبعين,تدرون كم يحتاج لو شرحنا حديثاواحدافي يوم في الأسبوع بنفس الطريقةثلاثةوعشرون أسبوعا في السنة ثلاثة وعشرون حديث؟نحتاج الى أكثر من مئة وست سنوات حتى نشرح صحيح البخاري,مئة وست واذا شرحنا حديثين نحتاج الى حوالي ثلاث وخمسين سنة,واذاكان الدرس كل يوم في كل يوم يشرح حديث يعني نحتاج سبع سنوات,مسلم تصل أحاديثه الى أربعةآلاف من غير المكرر,وبالتكرار أوصله بعضهم الى اثني عشر ألفا وهذا يحتاج الى مئةوثلاث وخمسين سنة,مئةوثلاث وخمسين سنة,أبو داوود خمسةآلاف وميتين واثنين وخمسين وهذا يحتاج الى مايقرب من مئتي سنة,بنفس الطريقةالسابقةيوم في الأسبوع وحديث واحد تشق فيه الشعرةوالشعيرة,الترمذي تقرب أحاديثه من أربعةآلاف يحتاج الى مئةواثنين وخمسين سنة,النسائي تصل الى خمس آلاف وسبعمئه وواحدوستين حديثا يحتاج الى مئتين وواحدوعشرين سنة,ابن ماجه تصل الى أربعة آلاف وثلاثمئةوواحدوأربعين حديثا يحتاج الى مئةوست وعشرين سنة,منتقى الأخبار أكثرمن خمسةآلاف حديث يحتاج الى مئةوثلاث وتسعين سنة,بلوغ المرام ألف أربع مئةواثنين وثمانين حديث في بعض التعداد يحتاج الى سبعةوخمسين سنةعلى نفس الطريقةالسابقة,منهج السالكين هذا الكتاب الصغير في الفقه في بعض طبعاته المحقق قسمه الى فقرات بلغت ستمئةوتسع وسبعين فقرة,بعض الناس يدرس فقرةواحدةيشققهاويأتي بالكلام اللي في المطولات والأدلةوالخلاف والردودوالمناقشات,تدرون كم يحتاج على هذه الطريقة؟يحتاج الى ستةوعشرين سنةالى ستةوعشرين سنة,حدثني بعض الأخوان من بداؤا يقرأون في تفسيرابن كثير في أحد الدروس من سنة1405الى1427وصلوا الى منتصف سورةالنساءتقريبا,من الفاتحةمن1405قراءةمن تفسير ابن كثير,متى ينهى ابن كثير ومتى ينهي ابن جرير اذا؟ومتى ينهي الكتب والمطولات الله أعلم نحتاج الى قرون يعيش الانسان عمر نوح علشان ينهي المختصرات فضلا عن المطولات هذه ليست طريقة صحيحة في التعلم وماأقعد الناس عن العلم وماقطع عنهم الا هذا,وانظروا في طريقةالعلماءفي قراءاتهم,قراءةالضبط مثلا أعرض لكم مثلا صحيح مسلم قرأه القاسمي جمال الدين في أربعين يوما,وقريئ على ابن لباج بجامع قرطبة في أسبوع يقرأه مرتين في اليوم,وقرأه طلحة العلفي الحنبلي في ثلاثةمجالس,وقرأه الفيروز أبادي على ناصرالدين محمد بن جهبل كذلك,وقرأه الحافظ بن الأبارعلى عبدالله الحجري في ستةأيام وفي هذه المدةأيضاقرأه البغدادي على محمدبن اسماعيل الخبازبدمشق,وقرأه

الفيروز أبادي على البياني بالمسجدالأقصى في أربعةعشرمجلسا,وقرأه الحافظ بن حجرعلى محمدبن محمدبن عبداللطيف في خمسةمجالس,وكذا قرأه البقاعي على البدر الغزي,سنن ابن ماجه قرأه القاسمي في واحدوعشرين يوما,وقرأه الحافظ في
أربعةمجالس,الموطأ قرأه القاسمي مع تصحيح السهو وتحشيته في عشرةأيام,البخالري قرأه الخطيب البغدادي على اسماعيل الضريرفي ثلاثةمجالس,وقرأه أيضا يعني مجالس طويلة طبعا وقرأه أيضا على كريمةالمروزيةفي خمسةأيام بمكة,وكذا قرأه القسطلاني على النشاوي وقرأه الحافظ في عشرةمجالس كل مجلس أربع
ساعات,وقرأه عثمان الديمي في أربعةأيام في الروضةالشريفة,وقرأه البقاعي على البدر الغزي في ستةأيام,وقرأه محمدعبدالحي الكتاني تدريساوقراءة تحقيق وتدقيق في نحو خمسين مجلسا لم يدع شاذة ولافاذة تتعلق بأبوابه ومحل الشاهد فيها الا أتى عليها مع غير ذلك من اللطائف المستجادة,المحدث الفاصل للرامهوزي قريئ على ابن الطبوري في مجلس,السيرةلابن هشام قرأها الذهبي أبي المعيذي في ستةأيام,المسند قرأه العراقي على ابن الخباز في ثلاثين مجلسا وقرأه الحافظ على شيخه عبدالله بن عمر الهندي في ثلاثةوخمسين مجلسا بزياداته,السنن الكبرى للنسائي قرأه الحافظ على الشرف بن الكويك في عشرةمجالس,المعجم الصغيرللطبراني قرأه الحافظ على عمربن محمدالبالسي في مجلس والكتاب يشتمل على نحو ألف وخمسمئةحديث.
انجازاتهم في المدة اليسيرة ماذا ينجزون؟
في مئةيوم أقام الحافظ بن حجر في دمشق أقام بهامئةيوم يسمع بهانحوألف مئةجزء حديث,الجزءيعادل عشرين ورقة لوجلدت لكانت تقارب مئةمجلد,وكتب في هذه المدةعشرةمجلدات,الانسان اذا جاء يكتب رسالةجامعيةماجستيريحتاج أربع سنوات ويطلب خامسة تمديد ورغم ذلك لايكلم أحد ولربما لايستطيع أن يلقي كلمة في المسجد ولايستطيع أن يفعل شيئالأن هذه الرسالة قد سيطرت على سمعه وقلبه وبصره وجوارحه,رسالةماجستير في ثلاثمئةصفحةهذه السنوات الطوال.
تكرار قراءة الكتاب ودراسته:يقول بعضهم قرأت كتابا واحدا ثلاث مرات أنفع من قراءةثلاثةكتب في الموضوع نفسه,درس عباس بن الوليد الناري كتابا ألف مرة,ابن التبان درس كتابا ألف مرةوهوالمدونةللامام مالك رحمه الله,الربيع بن سليمان صاحب الشافعي يقول:يقول أناأنظرفي كتاب الرسالة منذ خمسين سنةماأعلم أني نظرت فيه مرةالاوأنا أستفيد شيئا لم أكن عرفته,ابن عطية المحازي قرأ البخاري
سبعمئةمرة,وسليمان بن ابراهيم العلوي اليمني قرأ البخاري مئةوخمسين مرة,وقرأه الشرجمي وقرأه أحمدبن عثمان الكلتاني أكثرمن أربعين مرة,وقرأه أبوبكرالقاهري

الحنفي أكثرمن مئةمرة,وقرأه عثمان بن محمدالتوزري على أكثرمن ثلاثين رجلا,وقرأه أسعدبن محمدابن محمودالشيرازي على شمس الدين الكمامي أكثرمن عشرن مرة,وقرأه البرهان الحلبي أكثرمن ستين مرةسوى قراءته له في أيام الطلب وقراءةغيره عليه,قرأه الفيروزأبادي أكثرمن خمسين مرة,وقرأالبرهان الحلبي صحيح مسلم أكثرمن عشرين مرةسوى قراءاته له أيام الطلب أوقراءةغيره عليه,نحن نقرأالكتاب مرةواحدةونقول هذاقرأناه قبل عشرسنوات,مرةواحدةتكفي,يقول الفقيه يحيى العمراني أنه لم يعلق الزوائد المهذب الابعدأن حفظه غيبا,ثم طالعه بعد ذلك قبل التصنيف أربعين مرة أوأكثر,وكان يطالع الجزءمن المهذب وقدجزأه الى واحدوأربعين جزءا في اليوم والليلةأربعةعشرمرة,أنظرفي الجزءالواحدأربعةعشرمرة,وقرأالشيخ عبدالعزيزالميمني وهومعاصرقرأمعجم الأدباءسبع أوثمان مرات,وقرأابراهيم الأنباسي أوضح المسالك لابن هشام أكثرمن سبعين مرة,وقرأ أبي بكرالأبهري مختصرابن عبدالحكم خمسمئة مرةوالأسديةخمس وسبعين مرةوالموطأخمساوأربعين مرةومختصرالبرقي والمبسوط ثلاثين مرة,وقرأعلي بن عبدالواحدالجزائري قرأ الكتب الستةعلى مشايخه دراية,قرأ البخاري سبعةعشرمرةبالدرس قراءتان بحث وتحقيق وتدقيق ومر على الكشاف للزمخشري ثلاثين مرة,وقرأعبدالله بن محمد لفرحون تفسيرابن عطيةمرات كثيرةجداحتى قال كدت أن أحفظه,وهكذا أبوالقاسم الشاطبي كاد أن يحفظ صحيح البخاري من كثرةالتكرار له في كل رمضان.

كثرة تدريس الكتاب:نحن ندرس الكتاب مرةواحدةوالعمرأيضا لايفي بالفراغ لينهه,الكافيجي عالم يلقب بهذا لماذا؟لكثرةاشتغاله بالكافيةلابن الحاجب,قمة,الوجيزي وهوجمال الدين الأشبوني لقب بذلك لكثرة عنايته بالوجيز للغزالي,المنهاجي وهو الزركشي ينسب الى منهاج الطالبين للنووي لكثرة تدريسه له,فكانوا يدرسون الكتاب مرات كثيرةجدا,هذا ابن العجمي الشافعي شرح المهذب للشيرازي خمساوعشرين مرة,وهذاعبدالغافرالفارسي أقرأصحيح مسلم أكثرمن ستين مرة,وهذا اسماعيل ابن الفراء الحراني الحنبلي شرح المقنع مئةمرة,وهذا محمدالسنجاري الشافعي أقرأ الحاوي ثلاثين مرة,وهذاعبدالقديم النزيلي درس العباب في الفقه للشافعي ثمان مئةمرة,وهذاصالح بن عبدالله الصباغ درس الكشاف ثمان مرات,وهذا ابراهيم الحريري أقرأ البخاري أربع مرات بالمدينةوبمكةأكثرمن عشرين مرة,وهذايحيى بن هلال القرطبي كان يقريئ المدونةكل شهرين مرة,وهذا أدريس بن جابرالعيزري

درس كتاب التذكرةأكثرمن أربعين مرة,ومحمدالتاودي درس البخاري أكثرمن أربعين مرةودرس الألفيةفي النحو ثلاثين مرةوربماختمها في شهرودرس مختصرخليل ثلاثين مرة,وهكذا كانوا يدرسون المختصرةفي مدةوجيزةجدا,أبواسحاق الجبنياني يقول:كنانستمع ولقدألقيناالمدونةفي شهرندرس النهارونلقي الليل فما علمت أنا منا ذلك الشهر,وهذا التبريزي درس الحاوي للناوردي في نصف شهر ودرسه في شهر واحد,كرر ذلك تسع مرات,ويوجد أحدالمشائخ المعاصرين كل سنة يبدأ ألفيةابن مالك أول العام وينتهي منهاآخرالعام كل سنة,والبلقيني درس الحاوي في ثمانيةأيام,ومحمدابن أحمدالجزائري وهومتأخردرس مختصرالخليل في أربعين يوما,والخلاصة في عشرةأيام,أقول عرفتم لماذا صاروا علماء؟نحن ماذا درسنامرةواحدةفقط,ماهي الكتب التي أتمنى دراستها؟ماهي؟ولذلك نبقى في هذا المستوى الضعيف الضحل مع فشوالقلم مع كثرةالمدارس وانتشارالتعليم والجامعات,لكن هؤلاءقدتفرغوا للعلم فصارالعلم هوديدنهم ثم اشتغلوابه هذاالاشتغال,تمهروابه وتميزواصاروا علماءولهذاأقول للأخوان الذين يدرسون:حينماتدرس مقررا واحدا في التوحيد مثلاأوالفقه أونحوذلك في المرحلةالثانويةأوالمرحلةالمتوسطةأوغيرذلك تدرس هذاالكتاب أوهذاالمقرر مرات هل تحتاج الى تحضيره بعد ذلك؟تكون قد حفظته ورسخ أليس كذلك؟فالعلم مع التكراريثبت كثبوت ذلك المقرر الذي درسته هذه المرات,لكن الواقع أننا نحضرالدرس ان حضرنا ان حضرنا نحضر ثم يكون آخرالعهدونريدأن نضبط وأن نحفظ بهذه الطريقةبهذاالحضورفقط,مجلس السماع هذا لايمكن العلم يحتاج الى بذل الجهدومواصلةالليل مع النهارهذافي التميزبالعلم لكن ليس هذاالكل أحدمن الناس,من يحضرليدرك جملامن العلم فهذايحصل أشياء,من الناس من يحضرليؤجرفي رياض الجنةتحفه الملائكةفهذاالأخيرعظيم,في عبادة,لكن نحن نتكلم عن الرسوخ وحفظ العلم والتمهرفيه فهذاالذي أتحدث عنه وأسأل الله تبارك تعالى أن ينفعني واياكم بما سمعنا وأن يجعلنا واياكم هداة مهتدين,اللهم ارحم موتاناواشف مرضانا..

أضيف الى هذا الجانب وهو الطريقةالصحيحةفي التعلم والتعليم بالاضافة الى ماذكرته هناك أقول:لابد من التدرج,فالعلم درجات فلابدمن سيرصحيح ومنهج متبع يرشد اليه من عرف العلم وخدمه وحصله وخبره,يقول ابن شهاب رحمه الله يوصي يوصي يونس بن يزيد:يانونس لاتكابرالعلم فان العلم أودية,فأيهاأخذت فيه قطع بك فيه قبل أن تبلغه,ولكن خذه مع الأيام والليالي ولاتأخذالعلم جملةفان من رام أخذه

جملةذهب عنه جملة ولكن الشيئ بعد الشيئ مع الأيام والليالي وهذا معنى قرره أهل العلم وعباراتهم في ذلك كثيرة,كقول حافظ المغرب الامام ابن عبدالبررحمه الله طلب العلم درجات ومناقل ورتب لاينبغي تعديها ومن تعداها جملةفقدتعدى سبيل السلف رحمهم الله ومن تعدى سبيلهم عاندا ضل ومن تعداهم مجتهدا زل وهكذا,الماوردي رحمه الله يقول:لأن للعلم أوائل تؤدي الى أواخرهاومداخل تفضي الى حقائقها,فليبتديئ طالب العلم بأوائلها لينتهي الى أواخرها وبمداخلها ليفضي الى حقائقها,ولايطلب الآخر قبل الأول ولاالحقيقة قبل المدخل فلايدرك الآخر ولايعرف الحقيقة لأن البناء على غير أس لايبنى والثمرمن غيرغرس لايجنى وهكذا أيضا تجد لابن خلدون رحمه الله كلام طويلا مفصلا في هذه القضية,وخلاصةماذكرأنه يرى أن العلم لابد أن يجري ويسير في ثلاث مراحل:الأولى دراسةالمسائل الأساسيةمن كل باب,وتشرح على سبيل الاجمال مع مراعاةاستعدادالمتعلم,يقول:هنا تحصل ملكةجزئيةتهيئه لفهم وتحصيل مسائل الفن,ولهذاتجدالعلماءرحمهم الله كتبوا للمبتدئين كتبا فيها جمل من مسائل الأبواب وهي المسائل الأساسية دون التوسع والدخول في التفصيلات,ولهذافان من الجنايةعلى الطلاب وعلى العلم أن يتوسع في هذه الجمل حتى يتحول ذلك الى شيئ من المطولات فهذاخطأ,انظرالى كتاب الورقات مثلا,من الخطأأن نأتي بشرح مختصرالروضةللطوفي أومافي شرح مختصر التحريرأومافي كتاب البحرالمحيط للزركشي وهذه الكتب الثلاثةمن أوسع الكتب المصنفةفي أصول الفقه ثم يأتى به في شرح الورقات,والمرحلةالثانيةالتي يقترحها ابن خلدون رحمه الله هوأن يدرس هذاالعلم مرة ثانيةمع الخروج عن الاجمال في الشرح الى شيئ من الاستيفاءمع ذكرالخلاف ووجهه فتجود ملكته,يعني العلماءرحمهم الله يقولون في المرحلة الأولى يدرس العلم على قول واحد,اذاكان يدرس الفقه مثلا يدرس ذلك على قول واحد يبين له فيه الراجح ومأخذالمسألةمع الدليل,تفك له العبارةويوضح له المبهم ويرفع عنه الاشكال فقط,طبعابعض الطلبةالمتحمسين لربمالايعجبه هذافهويريدالتوسع لأنه اعتادعليه فيمايرى بكثيرمن الدروس ومثل هذا لايجاب ومن غيرالصواب أيهاالأحبةأن تكون الدروس بحسب رغبةالطالبين في توسعهاوتفاصيهاومايذكرفيهاوانماالمعلم مثل الطبيب يعرف حاجتهم وماينفعهم ومايصلح لأمثالهم يكون حكيمافي تعليمهم والله عزوجل يقول: (ولكن كونوا ربانيين)والرباني كماقال ابن عباس رضي الله عنه:هوالذي يعلم الناس بصغارالعلم قبل كباره,والمرحلةالثانية هي التي يشارفيها الى الخلاف القوي يذكرله القول دون التوسع ثم يبين له الراجح وبهذايكون له نوع دربة وبدايةبالمعرفةفي الخلاف,ثم بعد

ذلك في المرحلةالثالثةكمايقول ابن خلدون رحمه الله لايترك
عويصاولامبهماولامنغلقاالاكشفه,وهذاأيضا ليس على اطلاقه هوبحسب حال
الطلاب,أحيانايكون هؤلاءالطلاب في المرحلة الثالثة قدحصلوا كثيرامن العلم
ولايحتاجون الا الى مسائل وقضايامعينة أوالوقوف عندبعض القضاياالتي شيئ من
المناقشةوالافالباقي بالنسبةاليهم يعدمن تحصيل الحاصل ولماذا يعاد لهم الشرح من
جديد,هذه طريقة ينبغى أن تراعى وهذاالتدرج آفته العجلةوهذه العجلةتسبب
لصاحبهاالخسارة والبخس فلايرجع بكبيرطائل في العلم ماينفع ولايكون له براعةفيه
ولكن الناس قديقواون في هذه العجلةفيتقدم على المرحلةالتي يجب أن يكون مبتدئا
بها,لسبب أولآخرمنهم من يبتديئ وهو كبير ويستحيي أن يجلس مع من يدرسون من
الصغار من المبتدئين فيريد أن يلتقي بأقرانه ونظرائه في السن,ولهذاتجدالرجل أحيانا
لم يطلب العلم قط ثم بعد ذلك توجد عنده الرغبة بعدما تخرج من الجامعةوصار يعلم
وصار الناس ينتظرون منه الافادةوالواقع أنه بحاجةالى دراسةولرجوع الى البداية
فيستنكف ويأبى ويخجل أن يدرس مع الصغار,ولهذا تجد بعض المعلمين لربما يمنعه
من التعلم أنه لايريد أن يجلس مع تلاميذه في مجلس واحد وبعضهم يحرج بهذا,يقول
اجعلوا لنا دروس خاصة حتى لانستوي مع تلامذتنا في مجلس واحدوهذا خطأ لاشك
أنه نوع من الخطأ والغرور ولايجا بالى مثل ذلك,والعلم ليس فسه مايستحيى منه
وليس هناك كبير على العلم,والانسان انما يكون مقداره بحسب ماعنده من
التحصيل,والله عزوجل قد جعل الناس على رتب ودرجات وقد قيل:من رق وجهه رق
علمه,والخليل بن أحمدالغراهيدي رحمه الله يقول:يرتع الجهل بين الحياء والكبر في
العلم,فهذا قد جمع بين كبر وحياء,وأحيانا لربما ينتقل الانسان ويقفز لأنه لربما يعجب
بشيخ يدرس للطلاب المتقدمين ويريد أن يلتحق به,وربما فعل ذلك لأن له رفقاء قد
بلغوا تلك المراتب فألراد أن يرافقهم في العلم,ولربمافعل ذلك لأنه يريد أن يختصر
مراتب التعلم ودرجات التعليم فيختصر هذ السلم الذي يطول فيقول بدلا من أن أدرس
المرحلةالأولى ثم المرحلةالثانيةثم المرحلةالثالثة فأبدأ في المرحلة الثالثة
مرةواحدة,فهذا مثل الانسان الذي دخل في المرحلةالابتدائيةويقول لماذا الابتدائي ثم
المتوسط ثم الثانوي؟اذهبوا بي للثانويةمرةواحدة,فهل هذا لوذهبوا به للثانوية ودرس
عندهم النحو والرياضيات والكيمياءوالأدب وماأشبه ذلك هل يتعلم؟هل يفهم؟لن
يحصل شيئافالعلوم الشرعيةهكذا أيضا حينما نتحدث عن مراتبها ودرجاتها
ومناقبها,والنفوس أحيانا يكون فيها شيئ من العلل ولأدواء لربما يريد الانسان أن
يترأس,وقد قال أحدهم حينما قرأ في ترجمة لبعض أهل العلم أنه جلس للافتاء حينما

بلغ الحاديةوالعشرين فقال أنا مستعد أن أضاعف الجهد بدلا من أن أقرأ أربع ساعات في النحو أقرأ12ساعةوأبدأ بألفية ابن مالك وهو لم يقرأ قبل ذلك شيئا,ها أستطيع خلال دراسةهذه العلوم في نحو أربع سنوات أن أجلس للافتاء؟فهذه نية مختلة منذ البداية,وأحيانا يستعجل الانسان لقصد فاسد وهكذا,أيضا قد يستعجل لأنه مشغول ليس عنده وقت فهو موظف في شركة لايرجع الى بيته الا بعد غروب الشمس,أو لأن عنده من العيال أو التجارةأولأشغال أوالهموم مايستبطئي معه المدة يقول نلتحق بالمرحلةالنهائيةثم بعد ذلك يكون مايكون,وهذه لاشك لهذه الأشغال والهموم لاشك أنهامن المعيقات التي تحصل للانسان,قد قيل:الهم قيد الحواس من بلغ أشده لاقى من العيش أشده,ومن الحكمة:تفقهوا قبل قبل تسودوا,وقد قيل:الشغل مجهدة والفراغ مفسدة,ولربما شح الزمان بما سمح وظن بما منح,قد الأحنف بن قيس رجل يقول الحكمة المعروفة:التعلم في الصغر كالنقش على الحجر,فقال له:الكبيرأكثرعقلاولكنه أشغل قلبا,وهذاصحيح لأن الكبير له من الادراك والفهم والحذق ماليس للصغير,ولكن الهموم ولأشغال وتفرق القلب هو الذي يعوقه عن كثير من العلم,بعد ذلك أقول اذا تقرر أنه لابد من التدرج في ماذا نبدأ ينبغي أن يلاحظ هنا حينما نقرأ كلام العلماءرحمهم الله فيما يبدأوا به أنهم يتكلمون عن زمانهم,وفي زمانهم كان التعليم اختياريا كان كثير من الناس لايتعلمون ولايقرأون وانما مباشرةيذهبوا الى فلاحةأوصناعةأولربما بقي حبيسا في بيته,فالذين يذهبون الى التعليم الذي يمكن أن يسمى في عصرنا هذا التعليم الابتدائي هم أولئك الذين يذهبون الى الكتاب فالمدارس قليلة ولربما لاتتسع للناس لو توجه المجتمع اليها,البلدالواحد لربما تعد ثلاث مدارس اذاكان ذلك البلد من البلاد التي تزدهربالعلم والعلماء,فوجود الكتاتيب في ذلك الزمان كان يلبي بعض الحاجات في وقتهم عند من يتوجه اليهامع مراعاةماذكرأن كثيرمن الناس لايتوجهون حتى الى الكتاتيب,فالذين يذهبون الى الكتاتيب يتعلمون القرآن بالدرجةالأولى ولربما تعلموا القراءةوالكتابة,فان ارتقوا درجة تعلموا مباديئ الحساب وغالبا لايتعلمون ذلك,هذا أمرلابدمن مراعاته,فالعلماءرحمهم الله حينما يقولون أول مايبدأ به يتحدثون عن أناس جاءوا لم يتعلموا شيئاأما نحن الآن فالتعليم عندنا تعليم الزامي يدرس الانسان منذ نعومة أظفاره,قبل بلوغه السابعةلربمادرس سنتين يتعلم فيهاالقراءةوالكتابةومماالى ذلك ثم بعد ذلك يتعلم ست سنين يتعلم فيهامباديئ في العلوم سواءكان ذلك في القرآن أوفي العربيةأوفي العلوم الطبيعيةوالرياضيةكل ذلك يتعلمه من وقت مبكرثم تأتي مراحل المرحلةالمتوسطةوالمرحلةالثانويةفهذه اثنتى عشرةسنةينبغي ألاتلغى من حساباتناحينمانتحدث عن مراحل التعليم وأول مايبدأ

به,حينمانتحدث عن شاب في المرحلةالثانويةأونحوذلك لاننظر الى هذاالانسان على أنه جاءولم يحصل شيئا جاء من الصحراء خلص تعلم أشياء في العقيدة وفي غيرها,فالعلماءرحمهم الله يقولون يبدأ بالقرآن كما يقول النووي ثم يحفظ في كل فن مختصرا ويبدأفي الأهم,يبدأ القرآن لكن من هو الذي يبدأ بالقرآن؟اذا جاءنا شابا صغير احفظ القرآن الآن التحق بحلقة,لكن اذا جاءك شخص متخرج من الجامعةوقال أنا ماأتممت حفظ القرآن أو أريد أن أتعلم الفقه والعقيدةونحو ذلك نقول له ارجع احفظ القرآن أولا؟هذا يصعب مطالبة الناس به وينبغي أيضاأن نعرف أحوال هؤلاءالناس,تغيرت أحوال الناس عن السابق,هل هذا الانسان أصلا من برنامجه أن يحفظ القرآن كاملا؟ثم هذا الانسان ماذا يريد من العلم الشرعي؟هل يريد أن يتخصص فيه؟أوأنه يريد أن يتعلم ماتمس اليه حاجته؟ومطالبةالجميع بحفظ القرآن نقول ابدأ بحفظ القرآن هو يقول لك أنا أحفظ بعض الأجزاءمن القرآن وأصلي فيه فهل يلزم أن يحفظ القرآن كاملا؟نقول نحن اذا وضعنا برنامجا للناس في العلم من الصغرنقول لهم ابدأوا بحفظ القرآن وننصح الناس بهذا أونرشدهم اليه لكن هل هذا شرط في الطلب؟الجواب لا,فالشاهد أن هذا من الذي يطالب به؟يطالب به الصغير ويطالب به من كانت له همةفي حفظ المتون العلمية,نقول له الأولى والأحرى بك قبل أن تشتغل بحفظ المتون أن تحفظ القرآن,احفظ القرآن أولا ثم بعد ذلك احفظ متنا في كل علم وهذا المتن الذي يحفظه ينبغي أن يكون للانسان أيضا تصور وبرنامج واضح محدد المعالم,وهذا يحتاج الى مرشد وموجه,مثلا:المتون العلميةكثيرةمنهاالمختصرةومنها المتوسطةومنهاالمتقدمةعلى المراتب الثلاث في كثير من لأحيان,يجهد هؤلاءالتلاميذأوالطلبة فيحفظ الواحد منهم متنا في المرحلةالأولى ومتنافي المرحلة الثانية ومتنا في المرحلة الثالثة,لماذا هذا الاجهاد؟ثم أن القضية لاتقف عند الحفظ فالحفظ قد يسهل ولكن المراجعة,ينبغي أن تعلم أن مراجعةالقرآن مع مراجعةالمتون المحفوظة اذا تكاثرت فان ذلك قد يحتاج الى مالايقل عن أربع ساعات في اليوم مراجعة,وبعض الناس اذاقلنا له اتقرأ أربع ساعات في اليوم قراءةلطلب العلم قال أنتم تبالغون,المراجعة فقط قدتحتاج منك الى أربع ساعات في اليوم,هل عندك هذا الاستعداد؟واذا ماراجعتها نسيتها ثم أيضا ماذا تحفظ؟هل تحفظ المنظوم لأنه أسهل في الحفظ أو تحفظ المنثور؟نقول كل بحسبه ولكل مزية,المنظور أسهل حفظا ومراجعةولكنه اذا أخطأه أونسيه أوتعثر فيه لن يتيسر له ايراد المعنى,أما حفظ المنثور فانه ان نسيه فانه يبقى الاستظهار يستطيع أن يأتي بأسلوبه وبعبارته بالمعاني ولايتقيد بحروفه هذه مزية للمنثور,لكن المعنى أن نقول للناس كل بحسبه اذا كنت

تميل الى حفظ النظم فاخفظ النظم واذا كنت تميل الى حفظ النثر فاحفظ النثر لكن ينبغي أن تعرف ماذا تحفظ,على سبيل المثال في علوم الحديث هل تريد أن تحفظ من الدرجة الأولى؟احفظ البيقونيةمثلاأوتريد تحفظ من المرتبة الثانية؟تحفظ مثلا نخبةالفكرأونزهةالنظر,أوتريد تحفظ من المرتبةالثالثة مثل ألفيةالسيوطي أوألفيةالعراقي في علوم الحديث,الحماس الزائد أن يقول الانسان أريد أحفظ هذا وهذا وهذا نقول هذا جربه قبلك مجربون فاما أن يضيع بسبب قلةالوقت وشحه بمايتصل بالمراجعةوأما أن لايحصل لك المطلوب في بقيةالعلوم فحدد منذ البدايةولهذاأقول للاخوان في الدورةالمنهجية لحفظ المتون أقول لهم ماتلزمون أحد بشيئ,قد لايريد أن يحفظ كل المتون في المرحلةالأولى,يختار لابأس يقول أنا أريد أن أحفظ الأجرومية الآن أنا أريد أن أدخر حفظي في النحو في الألفيةولاأريدأن أحفظ منحةالاعراب,لابأس لااشكال,يقول أنا لاأريد أن أحفظ الا الأربعين النوويةولاعمدةالأحكام أريدأن أحفظ بلوغ المرام,لااشكال لأنها ينبغي أن نراعي أحوال الناس ونراعي الأمرالمهم وهوالمراجعةلكن كثيرمن الناس يقدم بحماسةفيحفظ ولايفكربعد ذلك في المراحل الأخرى ولايفكر في المراجعةثم يذهب عليه الوقت سدى فالشاهد أن النووي رحمه الله كغيره من أهل العلم يرون البدايةبالقرآن ثم بعد ذلك يحفظ متنا مختصرافي كل فن ويبدأ في الأهم,النووي رحمه الله يرى أن الأهم هو الفقه والنحو ثم الحديث والأصول ثم الباقي على ماتيسرثم يستشرحها ويختار من الشيلوخ الأكمل كما سيأتي,لكن هذا الذي ذكره من أن يبدأ بالفقه والنحو انما هو بحسب نظره وهذا ذكره جمع من أهل العلم لاسيما في الفقه ولكن المتخصص في فن من الفنون غالبا يدور حول فنه لذلك تجده متخصص في الحديث يقول يبدأ بالحديث والمتخصص بالتفسير يقول يبدأبتفسير القرآن وهكذا على كل حال فالنووي رحمه الله يرى أنه يفعل ذلك ويستشرح هذه المتون ثم يطالع بعد ذلك الأوسع ويعلق مايراه من النفائس والفوائد لما قرأ أو سمع فاذا كونت أهليته اشتغل بعد ذلك بالتصنيع وشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ينبه الى أن تعلم مايتصل به وتدعو اليه حاجته مما يتعلق به من الأحكام أنه أولى من الاستزادةفي حفظ القرآن,يعني عنده مايصلي به يحفظ جزء عم مثلا ولكنه لايعرف من الأحكام شيئا,مايعرف الطهارةوالصلاةفشيخ الاسلام يقول:ان تعلمه لما يحتاج اليه من هذه العلوم أولى من الاستزادة في حفظ القرآن,فاذا نفرق في أحوال الناس فاذا كان عنده مايكفيه من هذه العلوم فانه يبدأ بحفظ القرآن عند شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله,وهكذا الذهبي أيضا يرى أن البداية تكون بالفقه فيحفظ متنا فيه ويستشرح هذا ويطالع الشروح,وابن جماعةيرى الاشتغال أولا بالقرآن حفظا

وتفسيرا مع دراسة علوم القرآن ثم يحفظ من كل فن مختصرا من الحديث والنحو والتصريف الى غير ذلك ويشغل باستشراحها على أهل العلم وعلى كل حال العلماء رحمهم الله حينما يتحدثون عن هذه القضية كماقلت كل بحسب ميوله واهتماماته وبحسب مابرع فيه أو تبين وظهر له,والشيخ أحمدشاكررحمه الله من المعاصرين,حينما يتكلم عن علم الحديث فهو يرى الاعتناءأولابالصحيحين ثم بالسنن وصحيحي ابن خزيمةوابن حبان والسنن الكبرى للبيهقي ثم بالكتب الجامعةالمؤلفةفي الأحكام كالموطأ ثم كتب ابن جريج وابن أبي عروبةوسعيدبن منصور وعبدالرزاق وابن أبي شيبة ثم كتب العلل ثم يشتغل بكتب رجال الحديث وتراجمهم وأحوالهم ثم يقرأ كثيرامن كتب التاريخ وغيرها,يعني أن الشيخ أحمدشاكررحمه الله يرى أن الاشتغال بالشرح والتعليل وعلم الرجال أنه يكون في الآخروهو رجل متخصص في الحديث ونحن نرى بعض الشباب في بدايات الطلب يشتغل بهذه القضايا وربما كان ذلك كما قال أهل العلم بأن علم الحديث له شهوةفتطرب له النفس أحيانا لذلك تجدون بعض الخلفاءكانوا يستهويه مايراه من مجالس أهل الحديث وجالس الاملاءوالتحديث ويتمنى لوأنه حصل له شيئ من ذلك,فهل تجمع دروساأوعلومامختلفةفي وقت واحد؟المعروف أن المغاربةلهم طريقةفي هذاولازالوا عليها,الشناقطةعندبعضهم على الأقل ولليوم وان كان بعضهم قد غير ذلك وهم يرون أن هذه العلوم لايمكن أن تجمع في وقت واحد,ويشبهون ذلك بالمولدين التوأم لايمكن أن يخرجا في وقت واحد,فيولد الأول ثم الثاني,والمشارقةكانوا يجمعون بين العلوم,وعلى كل حال يمكن أن يقال بأن ذلك يختلف باختلاف الناس بحسب أوقاتهم وبحسب قدرهم وامكاناتهم,فمن الناس من لايتيسر له أن يجمع بين علوم مختلفة فيقف على فن واحد فاذا انتهى منه فانه يدرس الفن الآخر ولكن الأمورأحيانا قد لاتساعده على ذلك,هذا طالب ذهب الى الجامعةوجاء في منطقةفيها دروس كثيرة دروس كثيرةفيها عالم يدرس علوما مختلفة قال أنا سأختصرعلى فن واحد والباقي؟هذا الفن الواحد لربما عند هذا العالم ماينتهي الا بعد عشر سنين أوأكثر,بقية الأوقات؟باقي الوقت ماذا تفعل به؟لذلك نقول لبعض الشباب اذا جاء يسأل أحيانا يقوا أنا أريد أشتغل بالقرآن قيل لي لاتشتغل بغير القرآن,نقول كم تشتغل بالقرآن؟قف لمدة لاتتجاوز الساعتين طيب ساعتان من أربع وعشرين ساعة كم بقى؟اثنتان وعشرون ساعة أين تذهب؟لاتشتغل بغيرالقرآن فكثيرمن الناس أخذوا بهذه المقولة فذهبت عليهم سنوات وفاتهم علم كثيرولذلك أقول أحيانا يوجد لدى الانسان من يعلمه بهذه الطريقة يقتصر على فن واحد ويسير به شيئا فشيئاهذا الاشكال ولكن في الغالب لايتيسر له مثل هذا فماذا يصنع الانسان؟نقول يدرس بحسب طاقته وبحسب

وبحسب مايتاح له من الوقت والامكان ولهذا النووي رحمه الله كان يقرأ في كل يوم اثني عشر درسا على مشايخه شرحا وتصحيحا,هو متفرغ للعلم ليس عنده مايشغله والناس اليوم في دراساتهم في الجامعة مثلاكم يدرسون من محاضرة في اليوم الواحد؟خمس محاضرات أليس كذلك؟فمثل هذا لايستغرب,ثم اذا درس هذه المختصرات ينتقل بعد ذلك الى المطولات فيراجع ويقرأ ويجرد الكتب ويكون له برنامج يسير عليه,في ذلك يوجد تقويم السنة 1450للهجرة موجود مطبوع يباع أصدرته وزارةالمالية,تقويم في مجلد لطيف فيه الأيام والتواريخ لهذه السنوات كلها تستطيع أن تجعل لك برنامجا في المختصرات والمطولات والكتب التي تقرأ صيفا وشتاء,متى ستنهي هذا ومتى ستنهي هذا ومتى ستحفظ هذا ومتى ستجرد هذه المطولات ومتى,بحيث يعرف الانسان متى سينتهي من مراحل التعليم هذه ولايبقى في حال من التسويف وبعد ذلك لايخرج بطائل,وينبغي عليه في دراسته أن يحذر من التشتت والتفرق في العلم الذي يقرأه وهذا يقع لكثير من طلاب العلم وذلك أنه لربما أراد أن يحضر درسا من الدروس فيذهب ويقرأكثيرمن الدروس كأنه يحضر لالقاء درس لطلاب الدراسات العليا,انسان عمره ربما لم يتجاوز العشرين ويريد أن يدرس كتابامختصرا في المرحلةالأولى أو الثانيةيريد أن يقرأ مثلا في شرح الأربعين النووية أوفي عمدةالأحكام وذهب يدرس عندأحدالشيوخ فصاريحضرأكثرممايحضره الشيخ,الشيخ يمكن يحضرمن سبعة كتب أومن ثمانية كتب وهذايحضر عشرة أوأكثر من ذلك ويبقى سائر ساعات اليوم وهويحضر,هذاموجود وأنا أتحدث عن أمثلةواقعيةموجودة,فيأتي هذاالطالب الآن صار أكثراطلاعامن الشيخ ثم يجلس وينظر في هذاالكلام الذي قيل أووه بقيت أشياءماذكرهاوهناك أشياءأخرى وهناك أشياءأخرى تتعلق بهذي وهناك فوت كذا وترك كذا وأهمل كذا وماعلق على الآيات التي وردت وماعلق على,ويجلس في هالدرس يحصي وكل مايذكر يقول فهم هذا معروف في غيره؟هذا ماينتفع وقد ذكر النووي رحمه الله أن هذا مما يضر به فيزهد في علم الشيخ وهذا لربما أوقع الانسان فيه الجهل أو الحرص الزائد ولكنه لايستطيع المواصلة,الآن تصور انسان يحضر بهذه الطريقة طالب يحضر للدروس اللي يحضرها خمسة دروس بهذه الطريقة الليل والنهاروهو يحضر هل يستطيع المواصلةكل السنوات بهذه الطريقة؟أبدا,تجد ربع الكتاب الأول دائما عنده مظلم من الكتابة,حواشي كثيرةمن الشروح ويدرس الآن في قطرالندى وتجد الحواشي منقولةمن أوضح المسالك ومن شرح الأشموني ومن حاشيةالخضري وينقل من هذه الكتب في النحو ولربما يثقل عليه هذاجدا لكنه يتحمل ويتحامل من أجل ماذا؟فيزهد فيما يسمع ثم

مايلبث أن ينقطع يقول ليش أحضر؟وهذا خطأ,العلم أيها الأحبة ليس بهذه الطريقة,العلم يؤخذ شيئا فشيئا وحينما تأتي هذه المعلومة للطالب من غير أن يكون هذا الانسان قد اطلع على الشروح فان ذلك يكون أدعى لعلوقها بقلبه ثم أيضا أن الدراسة على الشيوخ تفتح المغاليق ويفتح عليه أمور بين يدي الشيخ كما سيأتي وأيضا يختصر عليه لزمان,الشيخ هو الذي يحضر أما أنت فقد اختصر لك ذلك,فيقدم لك من العلم ماتحتاج اليه ومايقدم لك من العلم تفرح به وتأنس به وتسر,فوائدجديدة ولكن الصحيح في نظري وأقوله بعدتجربه أن يأخذالانسان الكتاب المختصروينظر فيه قبل الدرس ويتأمل ويدقق النظر ويستخرج الاشكالات ويحاول أن يجيب منها ثم بعد ذلك يقيد أويؤشرعلى الأشياءالتي لم يستطع الجواب عنها اشكالات,ثم يأتي يحضرالدرس لايحضرخالي الذهن كمايفعل أكثرالطلاب هو لايدري أصلا ايش الموضوع اللي سيشرح فهذا خطأ,فيصور للمتن ان الشيخ سيشرح هذه المسائل ثم يسمع الشرح ويعلق مايحتاج اليه وينظر في الاشكالات التي أوردها على نفسه وأجاب عنها هل أجاب عنها الشيخ وهل هو موافق لجوابه أو لا؟يختبر بذلك ذهنه والمسائل التي ماأجاب الشيخ عنها بعدما ينتهي الشيخ يسأل عنها عندي سؤال فان شفاه ذلك اقتنع بالجواب والا سأل غيره فان وجد والا رجع للكتب وبحث فتعلق بذهنه لاتخرج منه الا ماشاءالله,ان رجع ضبطهافان رجع الدرس راجع المتن مع التعليقات ثم قرأالمقطع الجديد الذي سيشرح في الدرس القادم بنفس الطريقة وهكذا,في المرة الأولى يراجع ماسبق واذا أنهى فصلا راجع الفصل بأكمله واذا أنهى بابا راجع الباب بكامله واذا أنهى الكتاب راجع الكتاب بكامله أما الواقع فهو بخلاف ذلك تماما يأتي الطالب والواحد خالي الذهن تماما لايدري مالذي سيشرح أصلا ثم يحضر ولربما ذهب ذهنه هنا أوهناك ثم بعد ذلك يرجع ولاعهد ل بالكتاب فاذا كان يختبر في هذا الكتاب في أيام الاختبار راجع في أسبوع أوفي أسبوعين وكأنها أثقل عليه من الجبل,اسألوا طلاب الكليات الشرعية عامتهم بهذه الطريقة ولهذا يتخرج عامتهم بشهادة يمكن أن يقال أنه تخرج موظفا أو كاتبا أو نحو ذلك ,عوام كثير منهم كثير منهم اذا جلست معه أو سمعت أسئلته أو نحو هذا أسئلة عوام وهو متخرج من كلية شريعة,السبب؟هو هذا يراجع في الأسبوع وبعضهم يظن أن هذا هوالعلم الشرعي وأنه يحصل بهذه الطريقة ولذلك بعضهم كان يستكثر أربع سنوات في كلية شريعة يقول أنا أستطيع أحفظ هذه المذكرات وأنا جالس في البيت وأدرس في كليةثانية,ولهذا بعضهم خرج من الجامعةوالتحق بكليةأخرى قال أنا أستطيع أتواصل مع أحدالطلاب ويصور لي المذكرات ويرسلهاوأقرأهاوأجيب أفضل من الطلاب وهو فعلا يستعجل أكثرمن

الطلاب لكنه لن يكون طالب علم,وهذه أمورحصلت وأعرف من حصلت له وهم عوام الآن هذا الكلام منذسنة1408عوام كان يظن أن العلم الشرعي هو مذكرات يحفظهاأيام الاختبارات,ليش أدرس أربع سنوات؟هويظن أن الوضع الطبيعي هذا وهذا خطأ,العلم الشرعي أن تعطي العلم كلك كماسيأتي يعطيك بعضه,تعتكف عليه طول الوقت الليل مع النهار والا لن تحصل منه شيئا,على كل حال لاينتقل من كتاب حتى يتقنه,الشيخ محمدبن قاسم رحمه الله لوقرأتم في بعض ماكتب أوكتب عنه كان يكتب كل مايذكره الشيخ محمدبن ابراهيم رحمه الله,يقول:كنت أقيد كل شيئ حتى كان يكتب عندالشيخ توقف هنا هنيهه يقول وكان الشيخ يسمع صريف قلمي فيتمهل أويتوقف حتى أنتهي,يقول:ولم أكتب شيئاالاوقد فهمته,أما نحن نأخذالعلم بالجملةفتأتي أشياءكثيرةفي العلم لربماليست جمل وانمامن قبيل الفصول أحيانابكاملهاوالأبواب ومافهمناهاتقول باب العلةفي القياس الوصف المناسب أقولك هذي: أستاذيدرس أصول الفقه يسأله أحدالطلاب عن مسألة,يقول له:لا,خذها قاعدة,اسألنا عماندرس هم يدرسون بعض الأبواب ويتتابعون على دراستها وباقي الأبواب لاتسأل الشيخ عن الأبواب الأخرى.نتحدث طبعاعن أمثاله,المفروض أن هذا انسان متخصص في أصول الفقه أن يكون فهم هذاالعلم وحفظه وضبطه,على كل حال كتب كاتبون كثركثيرفيمايدرس من الكتب وكيف يتدرج الانسان فيهاوالذي أظنه أقرب والله تعالى أعلم ان الانسان لايصلح أن نجعل للناس برنامجا موحدا للجميع لأنهم يتفاوتون,يتفاوتون في فهمهم وفي خلفيتهم العلميةونحوذلك,يعني كماقلت يعني حينما نأتي بناس نقول في العقيدة لماذا نغفل في الواقع أنهم في دراستهم الابتدائي والمتوسط والثانوي درسوا كتاب الأصول الثلاثةوالقواعدالأربع وكتاب التوحيدأليس كذلك؟حينما ننظرالى الفقه نجد أنهم درسوا في العبادات والمعاملات الى المرحلةالثانويةأليس كذلك؟ولربما درسوا في المرحلةالثانويةأوفي تحفيظ القرآن لربمادرسوا شيئامن مصطلح الحديث أولربماأصول الفقه وهكذافي الحديث درسوا أشياء فلايحسن أن نجعل برنامجا للجميع بطريقة موحدة لكن يمكن أن نقول على سبيل المثال:مثلا في التفسير لوأراد الانسان يدرس دراسةتخصصية,نقول على سبيل المثال ابدأ في البدايةبغريب القرآن,خذكتابامثل المعجم الجامع في مفردات غريب القرآن للسيروان جمع أربعةكتب مهمة ويقرأالقرآن في ختمةفي شهروكل كلمةتلتبس عليك ارجع اليها واضبط الغريب ثم اقرأ التفسيرالميسرالمجمع ثم بعد ذلك يمكن أن تقرأ تفسير السعدي ثم بعد ذلك تقرتفسير ابن كثيرالذي هو مصباح المنير الذي أشرف عليه أنبار الكفوري أو تقرأ مختصرالشيخ أحمدشاكر عمدةالتفسير ثم بعد ذلك طبعا هذه قراءة,هذه

قراءة,ونقرأ التفسيرمرةواحدةمعنى ذلك أنه سيحفظ؟أبدا وانما اذا من أرادأن يكون له بصرفي التفسيرفيحتاج أن يدرس ذلك على يد أحدممن يميزفي هذاالفنوهكذافي سائرالعلوم,في علوم القرآن مثلاكأن يبدأالانسان بأصول التفسيرللشيخ ابن عثيمين رحمه الله وهوكتاب في علوم القرآن ثم مباحث في علوم القرآن للقطان ثم الاتقان ثم نقول يبدأ برسالةالسيوطي في أصول التفسير ثم في التحضيرثم في الاتقان هذه ثلاث كتب ومن درسها فقد لايحتاج الى غيرها,وهكذا حينما يدرس أصول التفسيريمكن للانسان أن يبدأببعدمادرس هذه الكتب في علوم القرآن يستطيع أن يدرس في مقدمةشيخ الاسلام ابن تيميةرحمه الله ويدرس كتاب فصول في أصول التفسير.
في الفقه حسب حال الانسان,انسان في الأقليات الاسلاميةمثلاأوانسان صغيرنريدأن نعلمه مبادئ الفقه مادرس في بلاده الفقه نقول ممكن يبدأبكتاب نورالبصائروالألباب في معرفةالفقه بأيسرالطرق والأسباب للسعدي رحمه الله أونبدأ به بكتاب منهج السالكين,لكن انسان درس في المراحل التعليميةعندنا نقول نبدأ به مباشرةبكتاب العمدةفي الفقه أوفي كتاب دليل الطالب أوفي كتاب زاد المستقنع ثم في المرحلةالثانيةيمكن أن يدرس كتاب المقنع أوكتاب الروض المربع ثم الكافي ثم المهري بالطرييقةالتي ذكرت في التعليم,في أصول الفقه يمكنه يبدأبالورقات أوالأصول من علم الأصول للشيخ ابن عثيمين رحمه الله ثم بكتاب قواعدالأصول ومعاقدالفصول ثم روضةالناظرثم بعد ذلك يستطيع أن يدرس المستصفى والآمدي وغيرذلك من الكتب,وهكذاأيضافي القواعدالفقهيةلوبدأبمنظومةالسعدي يمكن أن يقرأأيضامثل كتاب القواعدالفقهيةللندوي فهو يعرفه بالقواعد ومايتصل بهاوبعض الفروقات ويذكر له القواعدالخمس الكبرى لكنه لايخلومن نفس حنفي والكتاب مفيد,وهكذا كتاب القواعد الأصول الجامعةثم بعد ذلك القواعد للبورنومثلاثم بعد ذلك يستطيع أن يدرس مثل كتاب الأشباه والنظائرللسيوطي أولغيره وهكذافي الحديث يبدأبالأربعين مثلاثم في عمدةالأحكام ثم في البلوغ أوالمحررثم في المنتقى وفي كتب الحديث يبدأبالصحيحين كماسبق ثم بالسنن الى آخره,في علوم الحديث يمكن أن يبدأبالتذكرةلابن الملقن أوبالبيقونيةكل بحسب حاله,اذاكان عنده شيئ من الخلفيةلايحتاج أن يبدأبهذين يبدأمباشرةبالنخبةمثلا ثم بالنزهةأوالموقظةثم الألفيةللسيوطي أو للعراقي,في النحو يمكن أن يبدأبالأجروميةأوالنحو الواضح اذا كان استفاد من دراسته في المراحل التعليمية الثلاث فانه لايحتاج أن يبدأ بالأجرومية انما يمكن أن يبدأ بالملحةأوقطرالندى ثم بعد ذلك شذورالذهب وهوقريب من القطر ثم بعد ذلك بالألفية واذا أراد أن يتوسع فعنده مجال للتوسع في العقيدةيمكن أن يبدأفي

الأصول الثلاثة كتاب التوحيد,لكن اذاكان يقول هذه الأشياءأنا درستهاوفهمتهافي مراحل التعليم وحصلتها نقول له عندك الواسطيةوالحمويةثم الطحاويةثم التدمريةثم بعد ذلك تستطيع أن تتوسع في الكتب الأخرى وبعض هذه الكتب يغني عن بعضها,لو أراد الانسان أن يقول أنا أدرس معارج القبول,معارج القبول يغنيه مايحتاج الى دراسةمثلاالطحاويةمع التوحيد مع الواسطيةيعني كثرةالتعاريف كمايقول ابن خلدون رحمه الله هي من المعوقات عن التحصيل ولو أراد أن يستغرق العمر في دراسة فن واحدماستطاع من كثرةهذه الكتب,فالمقصودأن هذا يختلف باختلاف الناس أنا رأيت بعض من كتب وقد نصحت بعض المشايخ أوطلبةالعلم ألايكتبوا ممن كتبواوأخرجوا ذلك في كتاب ألايكتب لأن هذايختلف باختلاف الناس ولاتزال الكتب,يخرج كتب أحيانانقول هذاأفضل لوتعلم الناس في هذاكان أسهل وأنفع وهكذا,فالشاهدأن هذه لاتقال للجميع أن يبدأ الجميع بهذه الطريقةوانماكل بحسبه,الناس يتفاوتون وليس الانسان مقيدا بدراسةكتاب,ويختلف هذاأيضابحسب البلدان,ان كان انسان يدرس في بلد على مذهب المالكيةأوالشافعيةأونحوذلك ونأتي كمايفعل بعض الأخوان ويضع له كتاب في الفقه الحنبلي ويضع لهم كتاب في قواعدالفقه لمؤلف من الحنابلةوحتى أصول الفقه مع أن الطريقةفيهامعروفةطريقةالأحناف وطريقةالشافعيةوالطريقةالتي جمعت بين الطريقتين,لكن أيضامهمااستطعناأن ندرس بشي يكون أكثرانسجامافي المنظومةالتعليميةفهوأفضل,لغيرالمتخصصين أقول ليس بلازم أن نقول أدرس الأصول الثلاثةوأدرس كتاب التوحيد,لا مو كل انسان يقرأ سلسلةعلوم الأستاذعمرمشقرفي العقيدةأوالسلسلةالتي كتبهاالشيخ محمدالحمدمثلاسهلةوميسرةفي الفقه,يمكن أن يدرس الانسان كتاب الملخص الفقهي للفوزان أويقرأمن كتاب فقه السنةللسيدسابق,في الحديث يمكن أن يقرأمن كتاب مثلاشرح جوامع الأخبارللسعدي,يمكن يقرأبشرح رياض الصالحين للشيخ العثيمين رحمه الله,ويقرأمن شرح الشيخ العثيمين رحمه الله للأربعين النووية,في النحويمكن أن يقرأفي كتاب وضع للموظفين والمشغولين اسمه التذكرةفي قواعداللغةالعربيةللباشا,هذا الكتاب جميل وسهل وان كان رتبه على طريقه غيرمعهودةلكنه كتاب جيدحتى فيه تمرينات وفيه جمل يرددها القارئ بصوت مرتفع عدةمرات من أجل تحصيل شيئ من الملكةفي اللسان,البلاغةوالبيان ونحوذلك,جمل جميلةوحكم جاد بها مشكولة,وفيه أيضاتجد قل ولاتقل فهو كتاب جيد كتبه للمشغولين,فمانأتي لهؤلاء يمكن نقول لهؤلاء اقرأوا كتاب النحو الواضح للجارم أما نقول تعالوا تدرسون الأجروميةثم قطرالندى أوالملحة هذا كلام غيرصحيح,في أصول الفقه يمكن أن يقرأوا في الواضح في أصول

الفقه مثلا من أجل أن يطلع يعرف ماهي أصول الفقه وليس ذلك بلازم يمكن أن يستغنى عنه,في علوم الحديث يمكن أن يقرأوا في كتاب من الكتب,البقونيةمثلايدرسونه,أوكتاب ابن الملقن,في علوم القرآن يمكن أن يقرأ مباحث في علوم القرآن للقطان,في التفسيريمكن أن يقرأوا التفسيرالميسرطبعا المجمع أوتفسيرالسعدي,على كل حال هي وجهات نظر والناس يتفاوتون وقد جربنا وحاولنا حاولنا أن يكون في كل فن أن نكتب للمتخصصين فيه فاخترنا سبعة تقريبافي كل فن ممن عرفوا بالتمهر في الفن,قلناأكتبوا لنا الدرجات الثلاث في هذا الفن,نريد برنامج يخرج علماء,بعضهم اقترح علينا مذكرات وبعضهم قال اكتبوا اللي يكتبونه وورونا اياه وبعضهم كتب فلما قارنا الكتابات وجدنا أن بعضهم يضع هذا الكتاب في المرحلةالأولى والآخريضعه في المرحلةرقم ثلاثةفما استفدنا من تلك الكتابات شيئا,كنا نريد أن نضع برنامج عملي في التعليم ويقال هذا كتبه نخبة في كل فن من أهل الاختصاص سبعةتقريبا ولكن ماخرجنا بنتيجة كل واحد له رأي ولهذا تعرف أن هذه المسألة تقديرية تختلف فيها وجهات النظر ومن هنا أقول أن الكتابة في هذا هي تبقى وجهة نظرعند صاحبها قد يغير رأيه بعد حين وبذلك الذي لاحظته نقول الذي يكتب هل درس هذه جميعا في البلاغةوالنحو وعرف كتب الفن في النحو وفي الأصول وفي البلاغةوفي التجويد وفي مصطلح الحديث هل درس هذه الكتب حتى يقول هذا هو الأفضل في مادته وأسلوبه؟كيف يستطيع يقول هذا؟يصعب أن يأتي انسان يقول أنا درست هذه الأشياء ودرست غيرها واخترتها من بين كتب الفن في كل فن يمكن يتكلم عن تخصصه لكن يتكلم عن جميع التخصصات؟ولهذا رأيت من يكتب يضع الكتاب كما قلت في المستوى الأول وبعضهم يضعه في المستوى الثاني,كتاب قواعدالتفسيرفي المستوى وبعضهم وضعه في المستوى الثالث,كتاب مناهل العرفان للزرقان ليس في التحقيق في مناهل العرفان للزرقان دراسةتقويميةلمناهل العرفان,بعضهم كاتب مناهل العرفان للزرقان في المستوى الثالث تحقيق السبت لاحققته ولاشي هذا يدل على ماذا؟يدل على ماقرأه أليس كذلك؟لوقرأه ماكتب هذا الكلام,ولذلك لايحسن للانسان أن يتطفل على الفنون ويقول في كل فن أنا أوجه أرشد واقرأوا هذا في الفن الفلاني واقرأوا هذا واقرأوا هذا,انما يترك هذا لأهل الاختصاص وأهل الاختصاص كما قلت لكم أيضا يختلفون.

رابعا بين التخصص والموسوعية:السعدي رحمه الله يقول:العلم أكثر من أن يحصى,فخذ من كل شيئ أحسنه,ولهذا يقول الخليل بن أحمدالفراهيدي رحمه الله:اذا

أردت أن تكون عالما فاقصد لفن من العلم,وان أردت أن تكون أديبا يعني كما نقول اليوم مثقفا فخذ من كل شيئ أحسنه,يعني يقمش من العلوم ولايكون محققا في علم منها,وهكذا أبوعبيد القاسم بن سلام رحمه الله كان يقول: ماناظرني رجلا قط وكان معنيا في العلوم الا غلبته,ولاناظرني رجلا ذو فن واحد الا غلبني في فنه ذلك,وكانوا يقولون بأنه لايمكن كما يقول أبوحيان يقول:لايمكن أن يبلغ الامامة في العلم من كان من ينظر في الفنون المختلفة,يعني قد فرق جهده على العلوم المختلفة,يريدأن يكون متحصلا في الفقه وفي الأصول وفي التفسيروفي الحديث وفي غير ذلك,طبعا كما يقولون:ازدحام العلوم مضلة للفهوم,مع أنه وجد من توسع في العلوم ونبغ في كثير منها,الأعمش مثلا يقول:كان مجاهد لايسمع بأعجوبةالا ذهب لينظر اليها,ذهب الىحضر موت ليرى بئر براهود,وذهب الى بابل ذهب الى والي هناك يقول له يريد يسأله عن هاروت وماروت,وكان الدارقطني رحمه الله اذا ذكر شيئ من العلم وجد عنده منه نصيب وافر,ذكر الأكلة في يوم من الأيام يعني الذين يأكلون كثيرا,دعي الدارقطني على عشاء فجلسوا يتحدثون عن الناس الذين يكثرون من الأكل,فاندفع الدارقطني يورد نوادر الأكلة حتى قطع أكثر ليلته بذلك,حافظة,وتعرفون الشعبي رحمه الله كان يقول:أقل ماأحفظه الشعرولوشئتم لحدثتكم شهرا,يعني يروي الشعر,لاأعيد بيتا,هذاأقل شيئ,وهذاالامام محمدبن عبدالباقي الأنصاري المتوفي سنة535يقول عن نفسه:حفظت القرآن ولي سبع سنين وما من علم في عالم الله الا وقد نظرت فيه وحصلت منه بعضع أوكله,ولما أسر في أيدي الروم تعلم منهم اللغةالروميةوالخط الرومي,وهذا ابن الخشاب النحوي الحنبلي المتوفي سنة567يقول:اني متقن في ثمانيةعلوم مايسألني أحد عن علم منها ولاأجد لهاأهلا,وهكذاأبوالبقاءالسبكي المتوفي سنة777يقول:أعرف عشرين علما لم يسألني عنها بالقاهرةأحد,طبعا لاتستعجل تقول هذي مبالغة,انظر الى مثل كتاب مفتاح السعادةومصباح السيادةلطاش كبري زاده ثلاث مجلدات ذكر فيها العلوم في علوم كثيرةجدا لم نسمع بها عشرات,وهذا محمدابن أبي رافع ابن جماعةالمتوفي سنة819يقول:أعرف خمسةعشرعلمالايعرف علماء عصري أسماءها,وهكذا أيضا محمد بن أحمدالمالكي لمتوفي سنة842قال:أعرف عشرين علما ماسئلت عن مسألةمنها,وهكذا أحمد بونافع من المغاربةالمتوفي سنة1602يقول:عندي أربعةوعشرون علمالم يسألني عنها أحد,والجبرتي والد المؤرخ المعروف صاحب كتاب عجائب الآثار يقول عنه ولده المؤرخ يتكلم عن تفننه في علوم الشرع يقول:اعتكف عشر سنوات من سنة1144الى 1154لدراسةالعلوم التجريبيةمن

الهندسةوالكيمياءوالفلك والصنائع الحضاريةكلهاحتى
النجارةوالخراطةوالحدادةوالسمكرةوالتجريدوالنقش والموازين حتى صار بيته زاخرا
بكل أداةفي صناعةوكل آلة,السيوطي تكلم عن نفسه وقال أنه بلغ رتبة الاجتهاد في
سبعة علوم,ولذلك قام عليه علماء عصره وشنوا عليه هجمة شعواء وتكلموا في حقه
كثيرا كما هو معروف,على كل حال من الناحيةالعلميةالواقعيةنقول:يصعب جدا أن
الانسان يكون محققا في علوم شتى يعني كالمتخصص أما أن يكون الانسان عنده المام
في هذا وفي هذا لكن اذا جلس على المتخصصين فانهم يفوقونه وهذا ممكن لكن أن
يكون محررا محققا في علوم مختلفة هذا أمر يصعب جدا من الناحية الواقعية لاسيما
في زماننا هذا على تقاصر الهمم وقلة العلماء الذين يأخذ عنهم,ولهذا نقول ينبغي
للانسان أن يكون واقعيا فيلم من كل علم بطرف ويتخصص في فن واحد,وهذا كما
يقول بعض الظرفاء من المصريين يقول:خذ من كل شيئ شيئا ومن شيئ كل شيئ,خذ
من كل شيئ شيئا يعني خذ من كل علم بطرف بحيث يرفع عنك الأمية في هذا العلم
كما قال يحي بن مجاهد الزاهد كنت آخذ من كل علم طرفافان سماع الانسان قوما
يتحدثون وهو لايدري مايقولون أو لايدري مايقول هو غمة عظيمة,وابن الجوزي
رحمه الله يذكر بعض أحوال المشتغلين بالعلم ممن لادراية لهم بغير فنهم يقول:أدركنا
من قرأ الحديث ستين سنة فدخل عليه رجلا فسأله مسألة في الصلاة فلم يدري
مايقول,وأدركنا من برع في علوم الفقه فكان اذا سئل عن حديث لايدري
مايقول,وادركنا من برع في علم التفسير فقال له رجل يوما:اني أدركت ركعة من
صلاة الجمعة فأضفت اليها أخرى فما تقول؟فسبه ولامه على تخلفه,يقول ليش
تأخرعن صلاةالجمعة ولم يدر مالجواب,يقول:وأدركنا من برع في علوم القراءات
فكان اذا سئل عن مسألة يقول عليك بفلان,هذا أمر لايحسن ولايجمل بالعالم وهذا
موجود,تجد الانسان متخصص مثلا في أصول الفقه يذكر الأحاديث الضعيفةواذا سئل
عن مسألة فقهية تجد لابصر له اطلاقا,هو من العامة في الفقه هذا أمر لايحسن,وهكذا
تجد المتخصص بالتفسير لايعرف يخرج حديثا ولايميز بين الصحيح والضعيف وهذا
أمر لايليق وانما يكون عنده شيئ من البصر في العلوم المختلفة ولكنه يتخصص في
علم أوعلمين كل بحسب ماأعطاه الله عزوجل من القدرات,نحن نشاهد في عصرنا
الحاضر من العلماء من برع في أكثرمن علم,يعني لونظرت للشيخ محمدالأمين
الشنقيطي رحمه الله في علوم العربية في التفسير في أصول الفقه وله مشاركات قوية
وجيدة في الفقه وفي الحديث وفي علوم أخرى كالمنطق وغيره,هذا موجود,ابن
عاشور رحمه الله تكلم عن سبب الاقبال على الدراسةالموسوعيةيريد أن يكون عالما

في كل فن وله في ذلك وجهة نظر,هو يرى أنه لما دخلت الفلسفة على المسلمين,والعلوم الفلسفية مترابطة وأنه لما أقبل عليها من أقبل كالغزالي وأمثال الغزالي يقول:تأثروا بذلك وأرادوا نقله للعلوم الشرعية,فأرادوا محاكاة ماعرفوه بالفلسفة فصار الواحد منهم يريد أن يكون محققا في علوم شتى,فتجد العالم يقول يريد أن يكون فقيها أصوليا نحويا أديبا شاعرا يقول بهذه الطريقة اضمحلت صفة الاختصاص العلمي والامامة في علم معين,يقول ان هذا أضر العلم بانصراف طلبته عن تحقيق العلوم حتى أن من يكون في طبعه الميل الى التحقيق اذا جمع بين التحقيق والمشاركة توزعت مواهبه لأنه يطلب المشاركةوالبحث في جميعها وبالضرورة يقتنع من كل علم بشيئ قليل لايكون به محررا ولامحققا,واذا أراد الإنسان أن يتخصص هذا التخصص مايأتي في البداية هو كما قلنا يدرس متنا مختصرا في كل فن,لكن هل يحتاج أن يدرس في النحو ثلاثة كتب وفي المصطلح ثلاثة كتب وفي الأصول ثلاثة كتب على مستويات مختلفة؟الجواب لا,اذا أراد أن يتخصص طبعا مرحلة التخصص عندنا لونظرتم للكليات الشرعية مثلا تجد عندنا كلية أصول الدين تعنى بأصول الدين,القرآن وعلومه,الحديث وعلومه والعقيدة,تجد كلية الشريعة تعنى بالفقه ومايحتف به ويتصل من الأصول والقواعد وما الى ذلك ففهذا نوع تخصص في الواقع وهناك تخصص أدق من هذا يعني قد يتخصص الإنسان في القواعد الفقهية فقط أو في أصول الفقه وهناك من ينادي بجزيئة من هذا التخصص يقول يتخصص في باب القياس فقط,يمكن أن يتخصص بما يتعلق مثلا بطرق استخراج العلة في القياس نقول هذا فيه مبالغة يمكن أن يكتب في بحوثنا رسالة أو نحو هذا لكن أن يكون هذا فقط الذي يدرسه ويدندن حوله لا هذا يمكن أن يكون في الطب ممكن يتخصص في العظام وفي عظم واحد يمكن أن يتخصص في عصب واحد لا اشكال هو يحتاج الى مثل هذا لكن العلوم الشرعية مترابطة,انسان فقط يقضي العمر كما يفعل بعضهم على حرف من حروف المعاني متى سيدرس باقي حروف المعاني؟متى سيدرس اللغة؟متى سيدرس النحو وهكذا فاذا أراد أن يتخصص بماذا يبدأ؟بعض العلماء رحمهم الله كانوا يوصون ببعض الفنون,يعني الشافعي رحمه الله يوصي يونس ابن عبد الأعلى يقول له:عليك بالفقه فانه كالتفاح الشامي يحمل من عامه,بمعنى أن الفقه اذا درست مسائله بمجرد ماتدرس المسائل مباشرة صار عندك بصر فيها تعرف حكم هذا كذا وحكم هذا كذا لكن حينما تريد أن تدرس أصول الفقه أو تدرس التفسير أو تدرس العلوم هذه تحتاج مدة طويلة حتى يظهر أثرها بعد حين,أما الفقه فكل مسألة يدرسها الآن صار في باب الطهارة ان شاءالله صار في باب الصلاة له بصر فيه,والخطيب البغدادي رحمه الله

يقول:بأن العلوم هي أبازير الفقه,أبازير يعني مثل مانقول البهارات,وليس دون الفقه علم الا وصاحبه يحتاج الى دون الى أقل مايحتاج اليه الفقيه,لأن الفقيه يحتاج أن يتعلق بطرف معرفة كل شيئ من أمور الدنيا والآخرة والى معرفة الجد والهزل والعادات المعروفة منه وهكذا ابن الجوزي أيضا يوصي بالفقه ويقول:عليه مدار العلوم,فاذا اتسع الزمان يأخذ بعض الفقه ولكن لوقيل غير هذا لوقيل كل انسان بحسب ميوله يعني الانسان انما يبدع اذا كان عنده رغبة في فن من الفنون وهذا لانقوله حتى في العلوم الشرعية فقط,لوجانا انسان قال أنا في العلوم الشرعية ماأصلح أنا ماأفهم واذا حضرت مجالس العلم ترى أحضر للبركة لكن هات الرياضيات أبدع فيها نقول تخصص في الرياضيات ولاتنقطع من مجالس العلم يقول أنا رغبتي كلها في الطب وفي العلوم الشرعية رغبتي ضعيفة وفهمي ضعيف نقول له أدرس الطب ولاتنقطع من العلم الشرعي لكن لاتحلم أحلام اليقظة أنك ستكون عالما بالعلوم الشرعية لا لايمكن هذا وهكذا أيضا الذين يدرسون في العلوم الشرعية يقول لماذا أتخصص؟نقول من الخطأ أن لاسيما في الدراسة النظامية في مرحلة الماجستير أو الدكتوراه قد يدخل الانسان في مجال لارغبة له فيه حتى الجامعة لكن لأنه قبل في هذا المجال هذا لايبدع أولأن والده هو الذي أرغمه على ذلك مثلا هذا لايبدع انما يدخل في المجال الذي يرى أنه يستطيع أن يبدع فيه ويجد رغبته فيه اذا وجدت هذه الرغبة فانها تدفعه دفعا تلقائيا يكون عنده رغبة جامحة قوية فيحصل من العلم وتكون نفسه مستشرفة بمزيد من التحصيل.

خامسا:بين التعليم المباشر والتعليم بالوسائط

لاشك أن لقاء الشيوخ والجلوس بين أيديهم أنه كمال من الكمالات وذلك كما يقول ابن خلدون والخطيب البغدادي والشاطبي بأن الانسان حينما يذهب ويرحل الى أهل العلم ويجلس بين أيديهم فان ذلك يؤثر فيه سلوكه وأخلاقه وهديه وسمته ودله وطريقة التعليم وينفتح له بين يدي الشيوخ من مغاليق العلم مالا يخطر له على بال المسألة قد يقرأها الانسان ولتتبين له فاذا جلس متواضعا بين يدي الشيخ فانه يفتح عليه كما يقول الامام الشاطبي ذلك المنغلق لبركة تلك المجالس لاشك أن الجلوس بين يدي الشيوخ هو تربية وتعليم في آن واحد لأنه يستفيد منه الهدي والدل والسمت وطريقة التعليم ويستفيد منهم العلم ويأخذالعلم من أفواههم شيئا فشيئا حتى تحصل له الملكة والدربة والطبع لص كما قيل الطبع سراق الانسان يتأثر بمن يراهم ويشاهدهم فكيف بمن

يتلقى عنهم العلم ولذلك تجد الانسان حينما يتلقى عن أحد فانه يتأثر به ولهذا يقال ينبغي للانسان أن يتخير كما سيأتي يتخير الشوخ الذين يتلقى عنهم العلم وأما اذا كان الانسان يتلقى من الكتب كما هو مشاهد فانه يحفظ بتصحيح وتحريف ولربما لايفهم كثيرا من المسائل على وجهها الصحيحوكذلك أيضا يحصل لهذا الانسان من الآفات والأدواء مالايخطر له على بال الغرور الكبر يحصل له من العجب بنفسه كما يقول بعضه يقول أنا في مدة وجيزة حصلت علم سنين في أشهر من الكتب لم يجلس على يد الشيوخ ثم ماذا؟هؤلاء تلاشوا انتهوا راح أحدثكم عن سنين يمر بها جموع من طلبة العلم وترى أشياء وغرائب وعجائب وآفات لكن هؤلاء تجد الواحد منهم ربما معجبا بما حصله وماحفظه ومادرسه وماقرأه ثم مايلبث أن يتلاشى ذلك جميعا بخلاف من كما يقول الشاطبي رحمه الله:رباه الشيوخ ولهذا كان يقول بأن كتابه الموافقات يقول:لاأبيح لأحد أن يقرأه الا ممن تربى على يد الشيوخ,والعلماء الربانيون انما يتخرجون من مجالس العلم ومن حلق العلم اما الانسان الذي لايعرف هذا فانه لربما يكون عنده من الأنفة والكبر ولأدواء والأمراض مالايقادر قدره فاذا جاء طالب يرد عليه أثناء الدرس في مدرسة أو كلية أو نحو ذلك يرد عليه خطأ أو يصحح له وهما أو نحو ذلك فلا تسأل عن ضجره وغضبه وحاله وتغيره على كل حال ينبغي أن يراعى مثل هذا الجانب,والامام أحمد رحمه الله يقول:انما الناس بشيوخهم فاذا ذهب الشيوخ فمع من العيش؟وابن جماعة يحذر من أن ينظر الانسان الى نفسه بعين الجمال والاستغناء عن المشايخ فان ذلك عي الجهل وقلة المعرفةومافوته أكثر مماحصله,العلماءعباراتهم كثيرة جدا في هذا المعنى وهم من خبروا العلم وخبروا الناس وأنت تشاهد اذا كان الانسان موفق لحضور مجالس العلم يشاهد الفرق بين حاله حينما كان منقطعا عنها وبين حاله حينما كان يحضر لكن نقول اذا ماتيسر أو الدروس الموجودة هذي التي عدناها في أول الكلام التي تكون في يوم واحد في الأسبوع نقول لاتنقطع أحضر لكن كيف توفي مابقي؟نقول الأمور متيسرة الآن,انسان يقول أنا أعيش في مكان بعيد ماعندنا شيوخ أعيش في قرية أو في بلد بعيد أوفي أقليات اسلامية أو نحو هذا نقول افتح الانترنت الآن وتستطيع أن تسمع وتستطيع أن تسأل وتستفيد فنقول للانسان الذي لايتيسر له الجلوس على يد الشيوخ أو توجد دروس قليلة يوم في لأسبوع نقول أحضر هذا اليوم واسمع الأشرطة توجد الآن أشرطة سيديات هذي ميراث الأنبياء وهي رخيصة السي دي نحو ميقرب من سبعين أو ثمانين ساعة صوتية بخمسة ريالات وبعضها بريال هذه سجلت وتعب في تسجيلها يمكن للانسان أن يجعل لنفسه برنامجا هذا الشيخ من وين يشرح؟يشرح من الطهارة متى سيصل ان

شاء الله في يوم من الأسبوع للمعاملات؟ان شاءالله سيصل بعد ثلاثين سنة على طريقته هذي,أنا من الآن أبدأ في المعاملات كل يوم على هالأشرطة ودفترللفقه أكتب فيه المسألة التي مافهمتها أكتب السطر العبارة ماأتركها أقول صفحة كذا لا لا أكتبها وسجلها وأترك فراغا لكل جواب وهكذا وجمع,درست في المصطلح هذا المصطلح لايوجد من يدرسه الآن ابدأ في هذه الأشرطة شرح البيقونية شرح النخبة شرح كذا وسجل هذه الأسئلة ثم بعد ذلك تستطيع أن تسافر في وقت اجازة أو غير ذلك أو تجد أحد الشيوخ من المتخصصين ماتحتاج الى عملية عصف ذهني حتى تستخرج سؤالا تسأل عنه هذا الشيخ لا الدفتر موجود تستخرج هذا الدفتر وتسأل وتكتب الجواب ممكن أن تخصص وقتا لك مع هذا الشيخ المشايخ يأتون للدورات العلمية تقول أريد منك بعض الوقت بعد الفجر بعد العصر في الوقت اللي تختار ثم تذهب اليه وتطرح عليه هذه الأسئلة وان كان ان تحضر معك كتاب وهكذا فيستطيع الانسان أن يحصل بهذه الطريقة بإذن الله عزوجل ويسأل عما أشكل عليه ولهذا حين نقول للشباب الذين مثلا يذهبون الى الكليات الشرعية ومادرسوا في المعاهد العلمية يذهب مباشرة لكلية شرعية يدرس كتاب أوضح المسالك في النحو وين أوضح المسالك؟طلاب العهد درسوا شرح ابن عقيل وهو كتاب تعليمي مبسط على ألفية ابن مالك ودرسوا قبله أيضا في الحو درسوا في العقيدة درسوا الواسطية والحموية لربما ولربما كتاب التوحيد يذهب الى الجامعة يدرس الطحاوية والتدمرية مباشرة في أصول الفقه مادرس شيئا مباشرة روضة الناظرثم يبقى في غصة هذا شي مشاهد هؤلاء الطلاب نبدأ نوجههم الى الترقيع نقول لهم بسرعة حالة طوارئ الآن يقول أنا ماأفهم شيئ في النحو نقول له الأجرومية سريعا الآن أجلس عليها أسبوع طبعا النحو يتعلم في أسبوع؟ولذلك هذه الدورات التي نقيمها هنا من لزمها وحضرها وفهمها فانه يستطيع أن يذهب للجامعة وهو مستريح أو من درس في المعاهد العلمية المتوسط والثانوي فهي مرقاة للجامعة يستطيع أن يدرس دروس الجامعة وقد فصلت تفصيلا مناسبا لها لكن أكثر الناس لايذهبون للمعاهد العلمية عندنا على الأقل أو في بلاد أخرى ماذا يفعلون؟نقول لهم هيئ نفسك أدرس هذه المتون المختصرة قبل أن تذهب الى الكلية الشرعية لأنه يفترض في من جاء اليها أنه درس في معاهدها فتهيئ لدراسة المرحلة الثالثة فالشباب الذين يأتون من الثانوي ويلتحقون بكلية الشريعة مثلا هم في الواقع يدرسون في المرحلة النهائية ولهذا لماذا يسمى التعليم الثانوي؟هو فوق المتوسط وفوق الابتدائي فما بعده الا العالي يعني المستوى الأخير المستوى الثالث.

سادسا:كيف نختار المعلم؟

اذا كان عند الانسان خيارات فانه يحرص أن يتخير من أهل العلم من كان متصفا بالعلم والورع والسمت والهدي لأنه سيتأثر به بلا مرية الانسان المجانب للبدع والأهواء لاينسب الى شيئ من ذلك ويعمل بعلمه كما قال الخطيب البغدادي:ينبغي للمتعلم أن يقصد من الفقهاء من اشتهر بالديانة وعرف بالستر والصيانة هذا اذا تيسر لكن أحبانا لايتيسر له هذا ماذا يفعل؟مايجد النحو الا عند انسان لايظهر عليه سمة التدين نقول أدرس عنده لايجد الأصول الا عند انسان لايظهر عليه سمة التدين نقول ادرس عنده ماذا تصنع؟لكن لايدرس على داعية للبدع والأهواء ولو لم يجد غيره مايدرس عنده عندك في الانترنت وفي الأشرطة تقرأ في الكتب تسافر في طلب العلم لكن ينبغي أن نعي جيدا هنا في الكلام عن اختيار الشيوخ أن الانسان لايبحث عن أهل الشهرة يعني يبحث عن العلماء المشهورين كما يفعله بعض طلبة العلم ليست العبرة بالشهرة انما العبرة بالتحقق في العلم أن يكون الانسان له بصر في هذا العلم ومعرفة فيه فهذا هو المطلوب وماعدا ذلك الشهرة هي ليست بشرط فيذهب الانسان الى من يستفيد منه ويشرح له بطريقة واضحة والمشاهير في الغالب هم أكثر الناس شغلا وقد لايوفر لك من الوقت ماتحتاج اليه لكن قد تذهب الى انسان خامل الذكر ليس بمشهور يعطيك أوقاتا طويلة تستطيع أن تقرأ عليه كل يوم وهذا شيئ مشاهد فلا يطلب الصيت وأن يكون الانسان مشهورا,العلماء لهم عبارات كثيرة في هذا أعرضت عنها,قبل أن يبدأ في الدراسة على شيخ ينبغي ألا يستعجل يشاور ويشاور من؟مايشاور أقرانه يشاور من عرفوا وخبروا,تريد أن تدرس في كلية شرعية تبحث عن شيخ عاطل عالم له بصر تقول هذه الكلية مالذي يدرس فيها؟ماهي الجوانب التي أحتاج الى تكميلها في مكان آخر في المساجد؟من الأولى الى الرابعة,فيقول لك هذه الكلية توفر لك كذا وكذا وكذا طيب اذا مالجوانب اللي أحتاج اليها؟ان كان عندي زيادة وقت الجانب الفلاني هذا اذا الذي أدرسه ماهو أذهب وألتحق بالحلق بحسب مايتاح ويوجد منها ويكون تكرار لبعض الكتب فهذا غير صحيح ثم اذا ذهب كثير من الناس يذهبون وينقطع ويذهب هنا وينقطع حتى يصاب بداء وهو السآمة والملل فيكون ذواقا لاينهي كتابا ولايستمر عند شيخ وهذا لايحسن وانما ينبغي على الانسان أن لايستعجل لايستعجل يذهب ويحضر يسأل ثم يحضر ويستمع الى الدرس هل مستوى الدرس مناسب له والا لا؟مايأتي متحمسا ويتعرف على الشيخ ويقول أنا أريد أدرس عندك ويجلس بين يديه في الصف الأول ثم بعد ثلاثة أيام لايرى هذا غير لائق وانما يأتي في طرف

الحلقة ويستمع ويمكن للطالب أيضا الذي يريد يسجل في كلية شرعية مايعرف أي قسم يدخل في كلية الحديث أو في كلية القرآن أو في كلية الشريعة يمكن للانسان أن يأتي ويحضر بعض المحاضرات هنا وبعض المحاضرات هنا ويسأل الشيوخ ومن تخرجوا أيضا من أهل العلم من هذه الكلية أو تلك فلايستعجل فاذا ظفر بشيخ فانه يلازمه ولاينقطع حتى ينهي ذلك الفن أو الكتاب عليه ويتلطف به أحيانا لايوفق الطالب الى طريقة فيختزن العالم عنه علمه أو كثيرا من علمه كان أبو سلمة يماري ابن عباس فحرم بذلك علما كثيرا يقول:لو رفقت به لاستخرجت منه علما كثيرا وابن جريج يقول:لم أستخرج كالذي استخرجت من عطاء الا برفقي به وشعبة يقول:كل من سمعت منه حديثا فأنا له عبد وميمون ابن مهران يقول:لاتماري من هو أعلى منك فاذا فعلت ذلك خزن عنك علمه ولم يضره ماقلت شيئا ولذلك بعض الناس لربما يشتط ويتحمس وينفعل ويجادل في كل قضية ترد في الدرس في الأمثلة يجادل عليها أحيانا أشياء تستطيع أن تفوتها غير مقتنع فيها فوتها لا لا نريد أن نوقفه على مانراه الحق فيها وسيرى أعراب جاءت مثال من الأمثلة يسبب ضياع وفوات كثير من العلم.

سابعا:كيف يثبت العلم؟

سئل بعضهم مالسبب الذي ينال به العلم؟فقال:بالحرص عليه يتبع وبالحب له يستمع وبالفراغ له يجتمع علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فانك ان فعلت ذلك علمت ماجهت وحفظت ماعلمت يأتي طالب العلم ويحضر الدرس وبالطريقة التي ذكرتها سابقا وهذه جربها علماء كابن بدران رحمه الله ولهذا يقول:ماحتجت أكثر من خمس سنوات في الجلوس بين يدي الشيوخ,يدرس هذا المتن ويراجع ويحفظ ثم بعد ذلك يأتي للدرس الآخر وقد ضبط الدرس السابق ولاينسى مادرسه ويغفل ذلك فان هذا ليس من شأن طلاب العلم هناك علوم تحتاج الى تمارين يعني مثل النحو يحتاج الى تدريب يحتاج الى سؤال وجواب ويحتاج الى تطبيقات ولهذا يقول ابن عاشور رحمه الله في أسباب ضعف التحصيل يذكر من ذلك اهمال التمرين والعمل بالمعلومات كما هو الغاية من كل علم يقول:نجد علوم تدرس وكتب تختم ولانرى في من نحادث أو

نجالس فصيح لسان أو بليغ بيان يقول يقرأ الناس علم البلاغة وعلم الأصول وعلم النحو فلانرى من يستند اللحن في قوله أو في درسه ولامن يشعر بالمقاصد البلاغية فينطق بها أو يفهمها ولامن يرجح في مسائل الخلاف وماسبب ذلك الا أنهم انما حصلوا ألفاظا متحجرة اصطلحوا أن يسموها علما وهم يدرسونها ومايشعرون بعنوانها وغايتها والقصد منها يقول:واذا وجدت تمرينات فهي تمرينات سطحية,فالنحو مثلا يحتاج الى تطبيقات نصف الدرس يكون في التطبيقات تجد الانسان يدرس الكتب ويحفظ المتون ومع ذلك يلحن ولايحسن النحو كما أنه يحتاج الى المذاكرة في كل العلوم المذاكرة مع الأقران مع الطلاب يتطارحون المسائل ويتذاكرون ويتناقشون المسألة الفلانية مالدليل عليها مادرجة هذا الحديث مثلا ماذا يرد عليه لماذا احتج المخالف؟الزهري رحمه الله كان يرجع الى منزلة وقد سمع حديثا كثيرا فيعيده على جارية له من أوله الى آخره كما سمعه ويقول لها انما أردت أن أحفظه,اعادة الدرس يمكن للانسان أن يذاكر مع زوجته يعيد ذلك على أهل بيته بطريقة مبسطة يمكن أن يرجع الى مسجده فيطرح عليهم المسائل الفقهية التي درسها أو في العقيدة أونحو ذلك بطريقة مبسطة فهذا أدعى الى ثبوت العلم,وهذا اسماعيل ابن رجا كان يجمع صبيان الكتاب فيحدثهم لئلا ينسى حديثه يقول ابراهيم:اذا سمعت حديثا فحدث به حين تسمعه ولو أن تحدث به من لايشتهيه فانه يكون كالكتاب في صدرك,وهكذا ابن عبد البر يقول:أما الفقه فلايوصل اليه ولاينال أبدا دون تناظر فيه وتفهم له ويقول سعيد بن عبدالعزيزبأن عطاء الخرساني كان اذا لم يجد أحدا أتى المساكين فحدثهم يريد بذلك الحفظ وذكر الزرنوجي في كتاب له في التعلم والتعليم بأن فائدة المطارحة والمناظرة أقوى من فائدة مجرد التكرار لأن فيها تكرارا وزيادة وقد قيل:مطارحة ساعة خير من تكرار شهر وهكذا يوصي أهل العلم كما قال ابن جماعة وغير ابن جماعة
يتذاكرطلاب العلم مادرسوه في مجلس العلم لكن للأسف اليوم يذهب كل انسان في سبيله,أقول يمكن للانسان ولو بالتليفون يحدد بعض الوقت مع أحد أصحابه يكون من النابهين من الجادين في طلب العلم ويذاكر معه وكذلك أيضا العمل بالعلم يثبته وهكذا أيضا التكرار وسبق وذكرنا لكم عن بعض أهل العلم مثل الكافيجي لماذا قيل له الكافيجي؟لكثرة اشتغاله بالكافية لابن الحاجب,فكانوا لربما درسوا الكتاب عشرات المرات بل مئات المرات,فيثبت عندهم وأنا أقول للأخوان من المعلمين الآن اعتبروا بأنفسكم الذي درس التجويد على المستوى الفلاني من التجويد المستوى الأول أو المستوى الثاني أو نحو ذلك أو درس الفقه لأولى ثانوي أو لثاني ثانوي أو كتاب التوحيد ونحو هذا درسه سبع سنوات ثمان سنوات ماذا يجد؟يجد أنه تشربه تشربا تاما

ولايحتاج أن يحضر هو حافظ لماذا لكثرة التكرار الشيخ عبدالله الجبرين حفظه الله أحد المرات لما جاء هنا في درس الفقه قبل أن يجلس وهو واقف قبل أن يجلس على الكرسي ايش الكتاب؟ايش الباب؟قلت له النكاح,جلس جاب أبيات في أسماء النكاح ومعنى كل اسم وجاب أشياء لو حضر الانسان أياما لربما لم يأتي بها,لماذا كان بهذه المثابة؟هو رجل الآن كم بلغ من العمر؟نسأل الله أن يزيده وأن يمده بالقوة والعافيةوعلى طاعة جلس عقودا متطاولة وهويكرر دراسة وتعليما مرة بعد مرة حتى تشرب هذه الأشياء فلا يحتاج الى مزيد مذاكرة فيها اعتبر هذا فيما تدرسه أنت في المدرسة وقس على ذلك سائر العلوم,المشكلة أننا نقرأ مرة وخلاص هي النهاية,لا العلم الآن أيها الأحبة الآن هذا الكاس من الماء لوتركناه في الشمس وعوامل التعرية من الهواء وغيره وجينا بعد سنة كاملة هل سنجد فيه ماء؟الجواب لا أين يذهب الماء؟يتبخر,الآن لو صببنا الماء على هذه الطاولة وجينا في الغد هل سنجد الماء؟لا سيتبخر,فنحن عوامل التعرية عندنا كثير من الأشغال والهموم الطارئة والمزعجات وما الى ذلك وطبيعة ذهن الانسان فيتبخر العلم فاذا كان هذا الكأس مثقوبا فانه سينتهي ويتلاشى مافيه لامحالة,فاذا كنت تصب فيه وتكاثر هذا الماء فانك ان صببت فيه أكثر مما ينقص مايخرج منه فانه يزيد واذا كنت تضع فيه بقدر ماينقص بقدر مايخرج منه فسيبقى متماسكا واذا كنت تضع أقل فانه سيكون في تناقص فان كنت لاتعوضه شيئا فانه سيجف ولذلك تجد بعض الناس لربما يلي ألوان الولايات الشرعية ويفصل رتبا في رئاسات وأعمال ووظائف تستغرب كيف حصلها؟واذا تكلم كأنه عامي,هذا كان هو الأول على دفعته لربما في أيام الدراسة,كان متفوقا لكنه شغل بأعمال من القضاء وغيره,شغل عن العلم فتلاشى العلم عنده وصار بهذه المثابة,والا كان من الأذكياء النابغين وهذا شيئ نشاهده فالشاهد أن هذه أمور لابد من مراعاتها وقد قيل:

اذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه ولم يستفد علما نسي ماتعلما

فكم جامع للكتب في كل مذهب يزيد مع الأيام في جمعه عمى

وينبغي أن يتخير كما قلت لكم في مناسبة من المناسبات بأن الصحبة دوائر كما يقول ابن الجوزي,دوائر ثلاث فاختر من الزملاء من يكون عالي الهمة صاحب ديانة صاحب ذكاء نزيه صاحب نزاهة وخلق حسن فهذا كما قيل:

لاتصحب الكسلان في حالاته كم صالح بفاسد آخر يفسد

عدوى البليد الى الجليد سريعة كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

وهذا شيئ مشاهد,انسان يصاحب أناس من الكسالى من البطالين فيثبطونه يقولون ماخذها الانت؟ماخذوها اللي غيرك,ويستهزؤن فيه ايه يابن القيم امش نخرج لطعس

أو مطعم وتصير الصناعة هي الأكل والشرب والنوم والتجول فيشغلونه عن العمل وهكذا يحتاج الانسان الى أن يبذل ماعنده من جهد كما قال يحيى بن أبي كثير:

لايستطاع العلم براحة الجسم تريدين إدراك المعالي رخيصة
ولابد دون الشهد من إبر النحل لاتحسب المجد تمراأنت آكله
لاتبلغ المجد حتى تلعق الصبرا..

وقد قيل:من كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة,ويحتاج الى متابعة مايحصل فتور وانقطاع له,هذا الفتور والانقطاع كما يذكر أهل العلم يسبب له نسيان ماتعلمه ولهذا نقول:من آفات الدروس هذه المتقطعةالتي تكون في يوم من الأسبوع وتنقطع في الاجازات والطلاب قد نسوا وضعفت ههمهم وتلاشى ماحصلوه الا ماشاءالله وهكذا أيضا بذل العلم للناس,ولذلك تجد الآن من هم أعلم أهل الزمان في عصرناهذا ممن نعرف؟مثلا في بلادنا الشيخ العثيمين والشيخ ابن باز رحمهم الله وهم أكثر الناس بذلا للعلم,تجد عند الواحد منهم الدروس الكثيرة في اليوم الواحد,الشيخ عبدالعزيز بن باز يقول الشيخ محمد الموسى وهو مدير مكتبه في بيته يقول:كنت أقول له ياشيخ لم تعطني وقتا لأقرأ عليك في كتاب قال اقرأ علي وأنا أتوضأ,ماعنده أي وقت,كل وقت يقرأ عليه فيه,اقرأ علي وأنا أتوضأ لاحظتم؟ونحن كم عندنا من الأوقات؟كم ننام؟كم نأكل؟الأكل كم يأخذ علينا؟وكم؟فبذل العلم هؤلاء الذين يبذلون العلم يبارك لهم في ذلك ويكونون هم الأكثر علما,تصور انسان مثل الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله حينما مات كم بلغ من العمر؟جاوز التسعين أليس كذلك؟افترض أنه مابدأ يطلب العلم الا بعد العشرين ألا تكفي أن يقرأ على الانسان في مدة لربما تقارب السبعين سنة؟تقرأ عليه في اليوم لربما أكثر من خمسة دروس؟في الجامعة الإسلامية حينما كان مديرا لها كان اذا غاب أحد من الشيوخ أو سافر أو نحو ذلك يأتي الشيخ ويسد المكان ويدرسهم وهو الرئيس,فأعمارهم في العلم فهم أكثر الناس بذلا ولذلك صاروا أكثر الناس علما,فكما يقول ابن القيم رحمه الله:العالم كلما بذل علمه للناس وأنفق منه تفجرت ينابيعه فازداد كثرة وقوةوظهورا فيكتسب بتعليمه حفظ ماعلمه ويحصل له به علم مالم يكن عنده وربما تكون المسألة في نفسه غير مكشوفة ولاخارجة من حيز الاشكال فاذا تكلم بها وعلمها اتضحت له وأضاءت وانفتحت منها علوم أخرى,وهو شيئ مشاهد مع مراعاة الأمور التي تقوي الذاكرة تقوي الحفظ,العلماء يتكلون على أكل الزبيب ويتكلمون أيضا على مضغ اللبان والمصتكةوهكذا أيضا شرب العسل مع اجتناب الأشياء التي تسبب ضعف الذاكرة,فكانوا يرون أن أكل التفاح الحامض والباقلا وشرب الخل وكثرة اللبن أو اللبن الحامض بالذات كل هذه الأشياء أنها تسبب ضعف الحافظة,الشيخ محمد

الأمين الشنقيطي رحمه الله يقول ابنه عبدالله,يقول:كان اذا رأى معنا اللبن الحامض يقول انتزعه بشدة وغضب لأن ذلك يسبب ضعف الذاكرة أو ضعف الحفظ,وهكذا أيضا أن يصبر الانسان على الجلوس في مجالس العلم ولايكون شيئ لا بالصبر ويتوقى القواطع والموانع والصوارف,هذه القواطع والصوارف كثيرة جدا أحيانا يكون طالب العلم انسان له رغبة في العلم الشرعي في مرحلة المتوسط والثانوي أقبل على العلم وعلى الدروس وكذا,أذا أراد أن يسجل في الجامعة قال أريد أذهب الى كلية شرعية قالوا أهله هاه هيهات عجبا,ليه؟قالوا وين تروح كلية شرعية؟احضر درس في المسجد هم لايفهمون العلم الشرعي ولايعرفون قدره فيرون أن يدرس في كلية في علوم طبيعية أو علوم نحو ذلك من أجل الوظائف أو نحو ذلك ولن تموت نفس حتى تستوفى رزقها وأجلها وأين هذا الذي يتخرج في علوم طبيعية وحصل وظيفة بخمسةآلاف ريال من عالم يكون شمسا على مر القرون,تصور لوكان الشيخ عبدالعزيزبن باز رحمه الله مدرس والا موظف في شركة والا في تخرج من كلية بهذه التخصصات ولم يشتغل بالعلوم الشرعية قال له أهله لا لاأدرس تخصصا آخر من العلوم هذه الدنيوية المادية وتعمل على وظيفة وتحصل وظيفة في شركة يكون راتبك ثمانية آلاف أو عشرة آلاف,أين هذا من هذا؟نحن لانتكلم عن أناس يتخرجون من كليات شرعية يتخرجون عبارة عن موظفين وليس لهم من العلم شيئ لا مانتحدث عن هذا,حنا نتحدث عن انسان يكون عالما ولهذا حينما نطرح بعض البرامج في بعض البلاد يقول بعض الأخوان هؤلاء لازم يدرسون في الدراسات النظامية علشان الوظائف,نقول هذا اذا تخرج عالما الكل يريده,هو عملة نادرة أندر شيئ في العالم العلماء بالشريعة هم أندر شيئ الآن كفالة الدعاة كثيرة جدا,يعجز الناس عن كفالة عالم؟فالمقصود أن لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها واذا تأملت في أحوال الخلق تستغرب بعض الناس من وين لهم هذه الأموال ولاترى الا انسان متقاعد من وظيفة بسيطة وعنده أموال عنده ملايين عنده أراضي عنده أشياء منين جاءت؟يقول الله هو الرزاق هو الذي أعطاه,وتجد آخرين ذكاء ودراسة وتخصصات لربما نادرة في العلوم المادية ونحو ذلك ومع ذلك ديون وماحصل شيئا من الدنيا فالله هو الرزاق,فالعلم أشرف وأجل من أن يلتفت,الناس ينظرون من الناحية ونحن نقول لا لا اصعد أعلى نحن نتكلم عن شمس تضيئ للناس الطريق,شيخ الاسلام ابن القيم,الشيخ محمدابن ابراهيم الشيخ ابن عثيمين الشيخ الألباني الشاطبي علماء لازالت تتردد أسمائهم ويترحم الناس عليهم فكثير من الناس لايتصور هذا ولايعي حقيقة العلوم الشرعية فيلزم ولده يقول لا تذهب تتخصص التخصص الفلاني من أجل أن تشتغل

في الشركة الفلانية فيكون قد قضى عليه حتى لو حاول ويسبح خلاف الأمواج يحاول ويحاول ويحاول ثم بعد ذلك ينقطع وينتهي وهذا أمر نشاهده ويتكرر,هكذا قصور التصور عند بعض الطلاب كما ذكرت لكم في ثنايا الحديث,كنت أتصور علوم الشرع أنه حفظ المذكرات لماذا أجلس أربع سنوات؟جاء مرة بعض الطلاب من اليابان في الجامعة الإسلامية ودرسوا قليلا ثم بعدين يحسبون ويعدون بالأرقام وكذا وقالوا أربع سنوات يمكن في اليابان نحقق كذا وكذا من المكاسب وكذا وخرجوا ورجعوا لو عرفوا قيمة العلم الشرعي ماذا حصلوا الآن في اليابان؟وهكذا أيضا أحيانا يكون الانسان رغبته ضعيفة في العلم الشرعي فسرعان مايفتر وينقطع وهكذا أيضا تحري النية وكثير من الناس قد يبدأ برغبة فاذا جاء ودرس العلوم الشرعية في كلية من الكليات تغيرت نياته,ولهذا يقول ابن عاشور من المعوقات يذكر تفكير التلامذه منذ الابتداء للاستعجال لتحصيل الشهادة من غير تفكير في الأهم من ذلك وهو الكمال العلمي,والشاهد أنه تكلم على هذه القضية وعابها هذا شيئ نشاهده تجد الطالب يأتي متحمسا ثم بعدين يشغل الشيوخ يبغى محذوف احذف هذا نريد مذكرة ياشيخ صارت القضية مذكرات وتبحث عن المحذوف وأنت راغب في العلوم الشرعية مالذي حصل؟نيته تغيرت,تجد الواحد ينتسب أحيانا يقول أنا أريد أدرس العلوم الشرعية مالك في الصداع والدراسة بعد هذا العمر؟يقول أريد أن أدرس العلوم الشرعية فاذا درس أشغلهم يبحث في الاتصالات وين المحذوف؟يريد مذكرة يصورها وين الرغبة في العلم الشرعي؟سنى ذلك وهذا يقع فيه كثير من الداخلين في الكليات الشرعية يأتي وهو متحمس ثم بعد ذلك اما بسبب الزملاء الذين يراهم أو غير ذلك فتضعف همته ويصير اشتغاله يزهد بما يدرسه ويصير همه فقط هو التخرج والنجاح أو تحصيل الدرجات العالية دون التحصيل العلمي ولهذا تجد هذا الانسان لاهمة له في العلم والاطلاع والقراءة والبحث وحضور مجالس العلم اطلاقا لكنه قد تجده الأول لماذا؟لأنه يحفظ مذكرات همه يحفظ في هذه الدراسة ويتفوق فيها من أجل أن يكون معيدا ثم محاضرا ثم بعد ذلك ثم يترقى بعد الدكتوراه أستاذ مشارك ثم أستاذا وهكذا في قضايا وظيفية بحتة واذا نظرت الى حصيلته العلمية تجد أنها ضعيفة وهذه مشكلة وذلك ينبغي للانسان أن يحذر من هذا واذا وجدت النية عند المعلم وعند التلميذ باذن الله عزوجل أنه يحصل من العلم اذا كانت له فيه رغبة وعنده أهلية لكن للأسف يأتي شيخ ويرى أن هذا عبيئ ثقيل عليه قد من التعليم ومل من رؤية الطلاب ويعد الأيام متى تنتهي؟ومتى تأتي الاجازات؟ويأتي الطلاب أيضا في غاية التثاقل والضجر وأنتم في ليلة تفتح فيها المدارس لربما البعض يستشعر هذا المعنى ويضيق صدره بالعلم

والدراسة فيتبرم بذلك ويفرح اذا غاب الشيخ والعجيب أنك تجد بعض الشباب يذهب الى كلية شرعية ومالذي يحصل؟يزهد في هذه الأشياء يغيب يتآمر مع زملاءه على الغياب الجماعي فيأتي الشيخ ومايجد أحدا يفرحون ويطربون اذا غاب الشيخ بينما قد تجد هذا الانسان يذهب ويلح على أحد الشيوخ أويسافر من أجل حضور درس وذاك انما يعطيه هذا الانسان الذي أحرج يعطيه من وقته شيئا يسيرا ويأتي بلا تحضير وهذا في غاية الحماس طيب هذا الدرس الذي في الكلية الآن الشيخ هذا قد درسه سنوات طويلة حضره وحضره مرارا فهو متقن له لماذا لاتستفيد منه وتحرص على ذاك الدرس الآخر؟وهكذا أيضا قلة الصبر اضافة الى مايحصل من التثبيط أحيانا تثبيط اما أحيانا من زملاءه أو ممن يحتف به أو غير ذلك العلم مايصلح لك هذه دروس ماتصلح لك الدورات هذه ماهي لك الدورات هذه غير ناجحة الدورات هذه وهذا الذي يقول هذا الكلام ماحضر قط في يوم واحد حتى يحكم وليس بأهل أصلا أن يحكم هو يوجد من يقول هذا الكلام ويعوق عن حضور مجالس العلم ينبغي ألانستجيب كذلك أيضا ضعف الهمة عند الانسان أحيانا الانسان يمر بحالات من الارتفاع والهبوط فقد يكون الهبوط هو الهبوط ولهذا يحتاج الانسان الى فقه في التعامل مع النفس سواء في الضعف في العبادات أو الضعف في الهمة في العلم ضعف العبادات له طريقة في العلاج والارتقاء بالنفس شيئا فشيئا والضعف في العلم أيضا له طريقة الانسان أحيانا يمرض وأحيانا الانسان يسافروينقطع أو غي ر ذلك فما تعود نفسه بتلك القوة في الاطلاع والقراءة والبحث وقضاء الساعات والصبر الطويل ونحو ذلك فيحتاج الى شيئ من التلطف يقرأ الكتب التي يميل اليها شيئا فشيئا والكتب الخفيفة حتى يأنس فيقرأ في اليوم ساعة ثم ساعتين ثم ثلاث حتى يرجع الى حاله السابقة وكثير من الناس يتعلق بالأماني الفارغة أو يكون عنده عاطفة في التعلم في محبة العلم لكنه ليس له برامج قوية وجادة وليس له همة عالية يقول الزمخشري:

يامن يحاول بلأماني رتبتي كم بين منخفض وآخر راقي
أأبيت ليلي ساهرا وتضيعه نوما وتأمل بعد ذلك لحاقي

وهكذا على كل حال لربما يشعر الانسان بالنقص أو يشعر هو بذلك يقال له أنت ترى مانت أهل لهذا أو هو يقول أنا لست بأهل أو يتذكر ماضيه أحيانا السيئ ويقول أنا لست بأهل للجلوس في هذه المجالس الشريفة وهكذا الاشتغال بالدنيا والحرص عليها لربما أن يريد أن يكون تاجرا بزعمه وطالبا للعلم ويقول ابن المبارك كان عالما وكان ماهو ابن المبارك فقط لكن أكثر العلماء ماكانوا كذلك فأحيانا الانسان يتعلق بأمور من

شأنها أن تقعده وأن تكسر نفسه وتقطع عليه الطريق بعد البداية وهكذا الذنوب والمعاصي أيها الأحبة فان لها شأنا عظيما في ضعف التحصيل وكما تعرفون

شكوت الى وكيع سوء حفظي فأرشدني الى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لايهدى لعاصي

وأيضا الأمور التي تسبب له الارتخاء والتثاقل والكسل لكثرة الأكل وكثرة النوم والفضول من هذه الأشياء,الشافعي رحمه الله يقول:ماشبعت منذ ستة عشر سنة,فاذا أكثر الانسان من الأكل فان ذلك يورث فتور الحواس,وابن جماعة يقول:من رام الفلاح في العلم وتحصيل البغية منه مع كثرة الأكل والشرب والنوم فقد رام مستحيلا في العادة,وابن عاشور له كلام في هذه القضية في كتاب أليس الصبح بقريب يعني يرى أن طلاب العلم يحتاج أن يكون لهم شيئ من الرياضة والنشاط والحركة ويقول من عادتهم أنهم يسيرون على رسوم معينة وفي غاية التثاكل وهذا يسبب ضعفا في البدن يؤثر على الأذهان.

ثامنا:أيها المعلم لاتبتئس

يعني أحيانا الانسان يكون في حال من العلم والبذل لكنه لايجد طلابا فلربما يتثبط وتنكسر نفسه فينبغي ألا يؤثر فيه ذلك,ابن مالك رحمه الله الامام في النحو المعروف كان يقف على بابه ويقول من يريد النحو؟ولايأتيه أحد,صاحب الألفية من منا من لايعرف ابن مالك؟وهكذا الامام مالك رحمه الله يقول:كنت آتي نافعا وكان يجلس بعد الصبح في المسجد فلا يكاد يأتيه أحد,والذهبي رحمه الله ذكر في ترجمة عطاء ابن أبي رباح أن أحد معاصريه قال:رأيت عطاء وهو أرضى أهل الأرض عند الناس وليس يجلس معه الا تسعة أو ثمانية ,مايجلس عنده آلاف,بعض طلاب العلم اذا جلس عنده تسعة أو ثمانية أو ألقى محاضرة وحضرها عشرة أو نحو ذلك أو الدرس مايحضره الا عدد قليل انقطع وغضب ولربما تحامل عليهم,مثل هذا لايليق,من كانت له نية فانه لايبالي,اذا كثر الناس شاع غلطك وكان هذا أيضا أصعب في ضبط النية والقصد وماصدق الله عبد الا سره ألا يشعر بمكانه,الانسان يبذل العلم ويصحح نيته دائما ويراقب قلبه وحركات النفس ولايبالي بعد ذلك الناس يقبلون على درسه أو لايقبلون فهذا شيئ ليس اليه,الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله قال له أحد الشيوخ حينما كان في المدينة في الجامعة الإسلامية يدرس في المسجد النبوي قال له:ياشيخ مايحضر درسك الا عدد قليل وفلان لايصلون الى قريب منك في العلم ومع ذلك

يحضر لهم المئات,قال:كم يحضر؟يعني كم يحضر لي؟قال:نحو عشرة,فأطرق وسكت ثم قال:بركة,فالشيخ عبدالعزيز رحمه الله بقي سنوات طويلة ومايحضر له الا هذا العدد,الشيخ العثيمين في أول أمره ماكان يحضر له الا عدد قليل,الشيخ الجبرين كان يحضر له طالب واحد سنوات وليس من أهل البلد,طالب واحد,فالانسان لماذا يضجر؟

تاسعا:أنت أيها المتعلم لاتبتئس

هذا رفع للمعنويات,لاتبتئس تأمل خيرا,هذا الفقيه سليم الرازي ممن طلب العلم على كبر السن,فقد طلبه بعد سن الأربعين ويحفظ مثل هذا العدد من العلماء أيضا مثل صالح بن كيسان والعز بن عبدالسلام يحفظ مثل هذا لعدد من العلماء,العز بن عبدالسلام وصالح بن كيسان وعلي بن حمزة الكسائي النحوي الامام في النحو ماطلبه الا بعد الأربعين,وهذا عبدالرحمن ابن النفيس أحد الحنابلة كان في أول أمره مغنيا وكان ذا صوت حسن ثم تاب من هذا المنكر وطلب العلم وحفظ كتاب الخرقي وهكذا أيضا عبدالله ابن الحسن الجبائي كان نصرانيا وكان أهله نصارى بل كان أبوه من علماء النصارى وكانت النصارى تغلو فيه لكنه أسلم وحفظ القرآن وطلب العلم يقول بعض من رآه:كانت له مهابة وجلالة في بغداد وهكذا نصير الدين أحمد بن عبدالسلام كان قاطع طريق,قال عن نفسه أنه ذات يوم في أثناء قطعه للطريق مضطجعا تحت نخلة أو في حائط نخل فرأى عصفورا يتنقل بين نخلتين بانتظام فعجب وصعد الى احدى النخلتين فرأى حية عمياء والعصفور يلقي لها الطعام فتعجب من ذلك وتاب من ذنبه وطلب العلم وسمع الكثير وسمع منه خلق,وهذا نقوله للذين يتركون العلوم الشرعية يقولون من أجل الوظائف وهذا سيبويه كان يستملي الحديث على حماد ابن سلمة فبينما هو يستملي قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس من أصحابي الا من لوشئت لأخذت عليه ليس أبو الدرداء)والحديث لايثبت فقال سيبويه:ليس أبو الدرداء وظنه اسم ليس فقال حماد:لحنت ياسيبويه ليس هذا حيث ذهبت وانما ليس هاهنا استثناء فقال:لاجرم,سأطلب علما لاتلحنني فيه,فلزم الخليل فبرا,وخبر آخر يرويه حماد بن سلمة أنه جاء اليه سيبويهمع قوم يكتبون الححديث,قال حماد:فكان فيما أمليت ذكر الصفا فقلت:صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا,وكان هو الذي يستملي فقال:صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفاء بالهمز,فقلت: يافارسي لاتقل الصفاء لأن الصفا مقصور,فلما فرغ من مجلسه كسر القلم وقال:لاأكتب شيئا حتى أحكم

العربية,ومن المعلوم أن سيبويه مات وهو صغير في شبابه,قيل عاش اثنتين وثلاثين سنة,وقيل نحو الأربعين,وهكذا أيضا ماجاء عن عثمان ابن جني حينما كان يقرأ النحو بجامع الموصل فمر به أبو علي الفارسي فسأله عن مسألة في التصريف فقصر فيها,فقال له أبو علي:زببت قبل أن تحصرم,فلزمه من يومئذ مدة أربعين سنة واعتنى بالتصريف الى أن تصدر مكان الفارسي فيه ببغداد وهذا الامام الشافعي رحمه الله يقول:كنت امرءا أكتب الشعر فآتي البوادي فأسمع منهم فقدمت مكة فخرجت وأنا أتمثل بشعر للبيد وأضرب وحشي قدمي بالسوط,فضربني رجل من ورائي من الحجبة فقال:رجل من قريش ثم ابن المطلب رضي من دينه ودنياه أن يكون معلما؟
مالشعر اذا استحكمت فيه فعدت معلما

تفقه يعلك الله

فنفعني الله بكلامه فكتبت ماشاء الله من ابن عيينه الى أن قال:ثم قدمت على مالك فلما عرضت عليه الى كتاب السير قال لي:تفقه تعلو يابن أخي,وهذا الشيخ الحافظ محدث الكوفة أبو جعفر محمد ابن عبدالله الملقب بمطين يقول جعفر الخلد قلت لمطين:لم لقبت بهذا؟قال:كنت صبيا ألعب مع الصبيان وكنت أطولهم فنسبح ونخوض ويطينون ظهري فبصر بي يوما أبو نعيم فقال لي:يامطين لم لاتحضر مجلس العلم,فلما طلبت الحديث مات أبو نعيم,وكتبت عن أكثر من خمسمئة شيخ,وهذا ابن حزم يذكر سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة فدخل المسجد فجلس ولم يركع,فقال له رجل:قم فصل تحية المسجد وكان قد بلغ ستا وعشرين سنة,قال:فقمت وركعت فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة دخلت المسجد فبادرت بالركوع,فقيل لي اجلس اجلس ليس ذا وقت صلاة,وكان بعد صلاة العصر قال:فانصرفت وقد حزنت وقلت للأستاذ الذي رباني:دلني على دار الفقيه أبي عبدالله بن دحون قال فقصدته وأعلمته بما جرى فدلني على موطأ مالك فبدأت به عليه وتتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحوا من ثلاثة أعوام وبدأت بالمناظرة,وهذا الشيخ خالد الأزهري الملقب بالوقاد وهو من كبار النحاة اشتغل بالعلم على كبر,قيل كان عمره ستا وثلاثين سنة وكان يوقد السرج في الأزهر فسقطت منه يوما فتيلة على كراس أحد الطلبة فشتمه وعيره بالجهل فترك الوقادة وأكب على الطلب وبرع وأشغل الناس وصنف شرحا حافلا عن التوضيح ماصنف مثله,وصنف كتابا في اعراب ألفية ابن مالك ووضع شرحا على الأجرومية وآخر على قواعد الاعراب لابن هشام وآخر على الجزرية في التجويد وله المقدمة الأزهرية مع شرحها وكثر النفع بتصانيف حتى صار شيخا للأزهر بعد أن كان عاملا فيه,كم بلغتم من العمر أنتم؟فالطريق مفتوح تستطيع أن تكون عالما والله عزوجل أعطاك

وأولاك وأنت لاشك أنك في لحظة أعلم من كل عالم حينما كان والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا فالصبر والمواصلة,قد يكون الانسان ليس بذلك الحاذق أو كثير الذكاء ولكنه مع الدوام والتكرار يحصل مالايحصله الأذكياء.

أخيرا,عاشرا:نظرة في الواقع

الآن اذا نظرنا الى المراحل التعليمية عندنا ابتدائي,المعهد أو الابتدائي,المتوسط,الثانوي,الجامعة نجد الناس يحصلون فيها أنا أقول لو أن أحدا درس في المعهد العلمي المتوسط والثانوي ثم درس في كلية الشريعة مثلا أو في أصول الدين وضبط مادرسه فانه يكون عالما,لو ضبطه فعلا وأتقنه يكون عالما,لكن الواقع هو ماذكرته في ثنايا الكلام,كثيرا مانفكر في برامج علمية ولربما كتبنا أشياء ثم اذا نظر الانسان وتفكر فيما يوجد من معاهد وكليات وجد أن هذه وضعها علماء واختاروا لها المناهج واختاروا لها الشيوخ هيأوا للطلاب كايحتاجون اليه,يعني يجلس الطالب ماعليه الا أن يجلس في مكان واحد والشيوخ يأتون اليه خمسة يتعاقبون في أول النهار وكل شيئ مهيئ من مسكن ومكافأة ونحو ذلك فبماذا يتعلل؟لكن للأسف كما قلت النية أو ضعف الهمة هي التي تجعل الانسان لاينتفع,ا ا نظرنا الى الدروس المقامة في المساجد نجد أنها في الغالب متفرقة ذات مستويات متفاوتة,طريقة التعليم فيها مافيها في الغالب ولهذا هنا اقتراح لعله يتحقق وهو أن هذه الدروس أنها ينبغي أن ترتب,يعني نحن عندنا هنا مثلا هذه الدورات مرتبة لكن الدروس التي في الأماكن التي تعج بالشيوخ والدروس ومجالس العلم مثل الرياض مثلا أو القصيم هذه لو أنها رتبت لكانت أنفع يعني يوجد مثلا في بعض المساجد يوضع برامج يتفق مع الشيوخ أن هؤلاء يدرسون للمبتدئين وهذه العلوم والكتب التي يدرسونها من أراد يذهب الى هؤلاء وهؤلاء الشيوخ في هذا المسجد أو في المساجد في شرق وغرب البلد أو في شماله أو في جنوبه في هذا المسجد وفي هذا المسجد يدرسون للمتوسطين وهؤلاء الشيوخ يدرسون للمتقدمين ويقصدهم الناس وفي الفقه يجدون مثلا اذا كان لايستطيع أن يدرس الا يوما واحدا يوجد خمسة ستة يدرسون الفقه في هذا المسجد يقسم عليهم أبواب الفقه,فالطلاب الذين يأتون لاسيما من خارج البلد يستطيع خلال أربع سنوات أن ينهي جملة من الفنون والكتب فاذا ماتيسر هذا يعني ماوجد من يقوم به وأرجو أن يوجد من يرتب هذا ويقوم به ويحتسب ويحتاج الى شيئ من الإقناع فاذا ماوجد فلا

أقل من أن يوجد بجوار الجامعة مثلا يوجد مسجد تقام فيه برامج على المستويات الثلاثة,ويكون فيه مكتب للتوجيه,هذه الكليات الشرعية الموجودة الذي يدرس فيها هو كذا وكذا وكذا الأشياء التي لاتدرس كذا في هذه الكلية تحتاج الى كذا وكذا ويوجد فيه معلومات تحدث بحيث انه تعرف الدروس اللي في البلد وأين وصلوا دائما في كل فصل دراسي بحيث اذا جاء طالب جديد يقال له الدرس الفلاني ماذا تريد؟في الفقه نوجهك الى فلان درسه مختصر درسه مبسط درسه كذا هذا يدرس أربعة أيام في الأسبوع هذا يدرس يوم احضر هنا وحضر هنا مثلا أو هنا من المعاملات وهنا من العبادات وهذا الدرس يناسب لمستواك وهكذا معلومات محدثة هؤلاء يدرسون النحو وصلوا فيه الى باب كذا وذاك بدأ من أوله احضر هذا يوم في الأسبوع وهذا يوم في الأسبوع مثلا اذا كان العلم يحتمل ذلك مايعتمد آخره على أوله وهكذا أيضا يعرفون أحوال الطلاب ومادرسوا,ماهي خلفيتهم؟فيوصى كل أحد بحيث لكن الواقع أن الكثيرين مساكين يذهب متحمسا ثم يجد دروسا كثيرة متفرقة قد بديئ بها من قبل ويحضر عند هذا قليلا وينقطع هذا الدرس ويحضر عند هذا قليلا تمضي أربع سنوات ولم يخرج بكبير طائل ولايعرف طريقة في التعلم,وبعضهم يظن أن الدراسة في الجامعة أنها لمجرد أخذ الشهادة وأن الدراسة الحقيقية في المساجد وهذا الكلام غير صحيح,أخيرا بعض الكتابات التي تجدون فيها كلام عن طلب العلم هي كثيرة جدا لكن أذكر جملة منها,مقدمة المجموع للنووي,مقدمة ابن خلدون,المدخل لابن بدران مدخل المذهب للامام أحمد,كتاب أليس الصبح بقريب لابن عاشور كثير من الأشياء قد لاتحتاج اليها,نتكلم عن أشاء قبل نحو مئة سنة أو أكثر تجاوزناها على بعض التحفظات على بعض القضايا,أدب الطلب ومنتهى الأرب للشوكاني,تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة,جامع بيان العلم لابن عبد البر,تعليم المتعلم طرق التعلم للزرنوجي,حلية طالب العلم للشيخ بكر أبو زيد,وهناك كتب أخرى كثيرة جدا لمعاصرين وغير معاصرين في هذا الباب,وأشكركم على حسن انصاتكم وصبركم وهذا مما يقتضيه العلم,الصبر,وصلى الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.